كتب ثقافية

قصة حياة طاغور

بقلم

ميشيل تكلا

قصة حياة طاغور

بمناسبة مرور مائة عام على مولده

بقلم
ميشيل تكلا

الإهداء

إلى ناصر العهد الحاضر

جمال عبد الناصر ...

مراجع هـــــذا الـكتاب

(١) حارس الشرق	دورلاب سنغ
(٢) رجال وذكريات	وليم روثنستين
(٣) مائة من الأعلام	طبعة أود هامس
(٤) أفـكار من طاغور	طبعة ماكميلان وشركاه
(٥) قصص لطاغور	» » »
(٦) قربان الأغـانى	رابندرانات طـاغور
(٧) البيت والعالم	» »
(٨) الطيور الهـائمـــة	» »
(٩) ذكريـات	» »
(١٠) السادهانا	» »
(١١) الشخصية	» »
(١٢) الصخور الجـائعة	» »
(١٣) الزنابق الحمراء	» »

يتقدم مؤلف هذا الكتاب بوافر شكره إلى الـكاتب الهندى الـكبير دورلاب سنغ وذلك لسماحه له بنشر بعض ما جاء فى كتابة « حارس الشرق » طاغور .

شاعر من الغرب
وشاعر من الشرق!

يتحدث الشاعر الايرلنـــدى الكبير وليم بطلريتس فى مقدمة له لكتاب الاغانى لطاغور فيقول :

« قلت لطبيب بنغالى منذ أيام ، أنا لا أجيد الألمانية ، ولكن إذا كانت هناك ترجمة لشاعر ألمانى هزت كيانى فلابد أن ألجأ إلى المتحف البريطانى لأبحث عن كتب بالانجليزية تسرد لى قصة حياة هذا الشاعر الالمانى العظيم وتاريخ فكرة . . ولكن هذه التراجم لشعر رابندرانات طاغور قد أثارت فؤادى ، وهزت كيانى هزاً ، فلا يهمنى أن أعرف شيئاً عن تاريخ حياته وحركات الفكر التى حققها . .

فقال البنغالى - أنا أقرأ لطاغور كل يوم . . فقراءة سطر واحد من شعره ينسيك متاعب الحياة . .

قلت - إن شعر طاغور سهل ميسور فالنهضة الجديدة قد ولدت فى بلادكم وما كنت أعلم عنها لو لم أقرأ لهذا الشاعر العظيم . .

قال البنغالى - عندنا شعراء آخرون ولكنهم لايضارعونه متانة وقوة . . ونحن نسمى عصره « حقبة رابندرانات » .

لم أسمع عن شاعر أوروبى اشتهر كطاغور : إنه عظيم فى الشعر والموسيقى يترنم الناس بأغانيه من غرب الهند إلى بورما وأينما ينطقون البنغالية، كان مشهوراً منذ حداثته عندما كتب أول رواية له ومسرحياته لاتزال تمثل على مسارح كلكتا - انني أعجب وأشيد بكمال حياة هذا الرجل العظيم . عندما كان صغيراً كتب كثيراً عن الأشياء الطبيعية ، كان يجلس طوال يومه فى الحديقة يفكر ويقرض الشعر . . ومن عامه الخامس والعشرين إلى الخامس والثلاثين مرت به أحزان كثيرة فكتب شعرا هو أجمل ما كتب فى شعر الحب والهيام بلغة بلادنا . .

ثم استطرد الطبيب البنغالى متأثرا « إن الكلمات لن تستطيع أن تصف ما كنت أدين به لشعره العظيم وأنا فى عامى السابع عشر .

ثم نما أدبه نموا عظيما فى الناحيتين الدينية والفلسفية . . كل أشعاره مليئة بالعظمة والخلود . هو أول قديس عرف معنى الحياة فتحدث عنها فى الصميم . . وهذا هو السبب الذى من أجله نحبه ونعشقه .

ولقد تفتحت عينا طاغور وهو صبى على الكتب والموسيقى التى كانت تملأ بيت أبيه .

وتحدث إلى كثير من بلاد الهند عن طاغور وعن أبيه الماهاريشى الذى كان يقضى يومه فى تأمل صامت ، يدقق فى جمال آيات صنع الله . وعن عائلته العريقــــة التى أخرجت رجالا عظماء كانوا بمثابة النور لبنى جلدتهم . وعن أخوته الفلاسفة منهم والفنانين كنت ألاحظ أن فى فكر

هؤلاء الناس وهم يتحدثون عن طاغور جمالا خفيا لمعانى الحياة كأنهم قد تأثروا لنيتشه الفيلسوف الألمانى العظيم وهم فى الحقيقة قد تأثروا بشاعرهم وفيلسوفهم طاغور .

* * *

لقد حملت ترجمة كتابه الاغانى . لعدة أيام وأنا أقرأها فى زحمة القطار والسيارة والمطعم وكنت كثيرا ما ألقيها جانباً حتى لا يظن بى الناس الظنون وأنا أهتز طربا ونشوة . هذه الاشعار العظيمة التى لعبت دوراً كبيرا فى تطوير الفكر الهندى لما احتوته من غزارة المادة ، وبراعة الاسلوب ، وقوة الانشاد قد أثرت أيضاً فى تفكيرى بل هى نفس الاحلام التى كانت تراودنى طول حياتى .

إنه عمل رفيع ممتاز ، وإبداع وبيان وخلق جديد يجمع بين الدين والادب ويسير عبر الاجيال ينصت إلى هذا وذاك ، ويقتبس من العالم والجاهل ، وينقل كل ذلك إلى الجموع . .

إذا ظلت حضارة البنغال مزدهرة ، فالفضل فى إزدهارها يرجع الى طاغور الفيلسوف العميق الذى كتب لكل الطبقات ، وستظل كتابته على مر الاجيال نورا يهدى ومشعلا يضىء . .

وطاغور مثل شوبير يكتب الموسيقى بالكلمات . . وأشعاره هذه لن تحبس بين أغلفة الكتب . تقرأها النساء ويلقينها جانباً فى تراخ ويتأوهن على حياة بلا معنى ، أو يحملها الطلاب فى الجامعات ليتركوها

جانباً عندما تستبد بهم مشاغل الحياة ، ولكن عندما تمر القرون ، وتتوالى العصور ، فإن أهل الارض سيتغنون بها وهم يسيرون فى طرق الحياة ومسالكها ، أو يمخرون بقواربهم عباب الانهار والبحار .

حتى العشاق سيجدون فى أشعار طاغور الحب الاصيل ، والأمل فى تجديد العاطفة ، والهاب الشعور . ففى كل لحظة من لحظات العمر يفيض قلب الشاعر بموسيقى عذبة وانغام شجية .

العالم الذى يصفه طاغـــــور والحضارة التى تتحدث عنها أشعاره فى تخيلاته ليست غريبة عنا بل مألوفة لنا نحن الشعراء . . .

يقول طاغور « ها أنذا منطلق فى رحلتى . . »

« فوداعا يا أخوانى »

« ساعة الرحيل قد حانت »

« وها أنا أسلمكم مفاتيح بابى . . »

« اليوم قد جاء وانطفأ المصباح الذى كان ينير ظلام بيتى »

« ونادانى صوت من بعيد . . » « أن استعد للرحيل » . .

طاغور هو الفكرة الهندية اقتنع بطاقة الروح فسلم نفسه للقدر ...

استمع إلى طاغور وهو يقول :

« يرمقنى الرجال وهو عائدون إلى بيوتهم ويبتسمون ثم يعيرونى ... واجلس أنا كالسائل الذى يغطى وجهه بردائه وعندما يسألونى ماذا أريد ؟ أطرق بعينى إلى الارض ولا أجيب »

ليس فى آداب العالم أروع من أدب طاغور فالبساطة والبراءة لايجدها الإنسان إلا فى أدب طاغور . . أدب طاغور يجعل الطير والأغصان تقترب اليه فى حنان كأنها تداعب الأطفال وكثيراً ما كنت أسائل نفسى من أين جاء طاغور بكل هذا ، هل أتى به من أدب البنغال أم من الدين ؟ الحق يقال أن طاغور معجزة عصره ، وأعجوبة زمانه ، سر مغلق لم تبح به الايام بعد . . .

مولد عبقرى جديد

من هو طاغور ؟

هذا هو السؤال الذى يجيب عليه رجل الشاعر الهندى بقوله «طاغور .. شاعر هندى أصيل ، وفيلسوف ومعلم ، ووطنى من الطراز الاول ، استطاع خلال نصف قرن من الزمان أن يلهب شعور مواطنيه ، المتعلمين منهم ، وانصاف المتعلمين والجهلة أيضاً ، وأن يعلمهم كيف يجب أن يعيشوا أحراراً بفطرتهم . . .

ويجيب كذلك على نفس السؤال فئة من أصحاب الفكر بقولهم « طاغور . أكثر من وطنى وأكثر من شاعر مطبوع . لم يكن رائداً ملهما فحسب ، أو فيلسوفاً مجدداً ، أو فناناً ممتازاً ، بل كان نبياً ورسولا للانسانية المعذبة ، جاءها برسالة الحب والسلام والحرية » .

أما السير ب . س . راى فيقول «طاغور . الابن الاعظم للهند الأم» ..

كان عبقريا لانه ترك طابع عبقريته فى كل شىء امتدت اليه يده من شعر ونثر وأدب وبعث قومى . . . »

كانت موهبته فى قرض الشعر سماوية ولاشك ، ممتازة بلا نزاع ، فريدة من غير جدال ، أبرزته على سائر شعراء عصره ، وجعلته فى طليعتهم . . . كما أن قدرته العظيمة على التفكير المنطقى السليم ، وحبه العميق للموسيقى ، وشغفه بجمال الطبيعة ، كل هذه كانت مؤهلات ومسببات جعلت منه أحد عظماء عصره وعصرنا ، هذا الحديث لم يكن طاغور مرهف الحس ، ملتهب العاطفة رقيق المشاعر فحسب ، بل كان عالما ببواطن الامور وبأسرار الحياة . كان يستطيع أن يتعمق فى يسر فى حنايا ما يحيط به من أشياء ، ويكشف بعد قليل من التأمل عن جمالها وحقائقها فى أشعاره الخالدة . ولعل أغانيه هى أصدق أثر لوطنيته النادرة ، ونور كاشف قوى للروحانية فى أسمى معانيها . ولقد ترجمت أشعاره وأغانيه الحماسية إلى جميع اللغات الحية وذلك لقوتها وعظمتها وخلودها وروعتها . .

هناك عاملان أساسيان يجب التعرف عليهما عند دراسة حياته وشخصية طاغور ذلك الرجل الفذ الجبار والعملاق الذى سجل له التاريخ صفحات من المجد والفخار . وجعل اسمه من نار ونور . أولها أنه كان مولعاً ومغرماً بجمال الطبيعة منذ طفولته السعيدة التى أهلته لان يقرض الشعر ويغترف من بحوره ومناهله . وثانيهما أن الفرص النادرة واتته وهو فى المهد . أى أنه ولد وفى فمه ملعقة من ذهب ، أهلته هذه الفرص على أن يشق

طريقه نحو المجد بسرعة وبنظام رتيب قد لا تمنحهما الحيـــاة إلى أمثاله من عظماء الرجال الذين يشقون طريقهم عادة بشق الأنفس وعرق الجبين .

الشائع فى بيوت الهنود أن آلهة العلم وآلهة الحظ السعيد «سارا واتى ولا كشمى» ، لا تعيشان معا . ولكن لكل قاعدة شواذ . والشاذ هنا أن عائلة طاغور جمعت بين الآلهتين أى بين العلم والحظ السعيد . كانت عائلته على جانب كبير من الثراء وكان طاغور أحد أفراد هذه العائلة الكبيرة المحظوظة ذات الثراء الواســـع والممتلكات الكبيرة فى البنغال . وكانت الحكومة تجبى مقداراً كبيراً من الضرائب من هذه العائلة وحدها كل عام . لذلك لم يصطدم طاغور كغيره من عظماء التاريخ والنابهين منهم بعقبات الفقر والعوز . وبجانب الثراء العريض ورث طاغور أيضاً مواهبه الأدبية وثقافته الممتازة من أجداده وآبائه

وفى القرن السابع عشر نرى أن هذه العائلة الكريمة كان لها شأن عظيم أيام الضيق والأزمات التى اجتاحت الهند . وكان يضاف إلى إسم أفرادها لقب «ثاكر» ، وهو لقب رفيع وأن كان هذا اللقب قد انقرض من البنغال اليوم إلا أنه كان لا يطلق إلا على العظماء وأصحاب الشأن والنفوذ . وكان هؤلاء «الثاكريون» الذين تطور لقبهم فيما بعد فأصبحوا يعرفون بالطاغرة - جمع طاغور - كانوا قادة الفن والأدب . وجد طاغور الأمير واركانات الفضل الأكبر فى تعميم المذهب (البرهمى) فى جميع أنحاء الهند كما كان سنداً قوياً وعضداً للراجا رام موهان روى الملقب بأبـ

الهند الحديثة والذى استطاع أن يدخل ويعمم الثقافة الغربية فى الهند ويمحو التقاليد القديمة البالية التى كانت فى نظره سبباً مباشراً لسقوط الهندوسية ولهذين البطلين يرجع الفضل فى منع الأرامل البنغاليات من التضحية بأنفسهن طعمة للنيران المحرقة إذا مات عنهن أزواجهن .

والعجيب فى أمر هذه العائلة العظيمة أن والد طاغور رغم ثرائه الفاحش لم يكن ميالا أو محباً للمادية . بل كان منحازاً دائما الى جانب الفن والأدب . وكانت حياته وحيا لأفراد عائلته الكبيرة ومثالا نادراً للعيشة الزاهدة البسيطة . فقد ساهم أبوه بأكبر قسط لديه من المال والجهد فى تنظيم الحياة فى البنغال ومحاربة الرذيلة والعادات اللعينة ما استطاع إلى ذلك سبيلا فغدا ابنه ولاغرو مثالا لأبيه مجدداً وعضوا عاملا ناشطا فى الهيئة الاجتماعية بعده ، قضى على كثير من العادات الهندوسية . فعبور المحيط والسفر الى الخارج كان الهندوسى ينظر اليهما نظرة المستطير المرتقب شراً وويلا وثبوراً . ولو حاول انسان أن يرسل ابنه الى الخارج لتلقى العلم لحقته اللعنة .

وقد استطاع دافيندرات طاغور أب شاعرنا الملهم أن يجتاز هذه الحواجز ويتجاسر ويسافر الى انجلترا ليتعلم ويتزود بالعلم والمعرفة . . ولاقت عائلته من هذا التجاسر المشين والوزر العظيم متاعب ومشاكل ، فغضب الهندس وثار البراهمة وامتنعوا عن معاشرتهم أو الاختلاط بهم فصاروا كالمنبوذين .

ولكن حال المخاصمة هذه لم يستمر كثيراً فما كاد يعود أبو طاغور

الى بلاده حتى أعانها حرباً شعواء على التعصب المرذول وخرج منها ظافرا فى آخر المعركة فكسب قلوب الناس وأثر فى الدهماء تأثيرا ساحراً فلقبوه بـ « المهاريشى » وهو لقب عظيم .

* * *

كان طاغور عبقريا وكانت الشهرة التى امتاز بها صدى لما امتازت به عائلته خلال القرون الماضية ولم تقتصر هذه الشهرة عليه فقط بل كان أخوته على جانب كبير من الشهرة كذلك لما أدوه للدولة من خدمات علمية ممتازة وكان طاغور أصغر أخوته السبعة وأنجبهم ، كان أحد اخوته أول هندى انخرط فى الخدمة المدنية. وكان الثانى فيلسوفا ومحاضراً وأذكى أبناء عصره وكان الثالث فنانا بارعا ذا فكر وهاج ، وقد نشأ هؤلاء الاخوة جميعاً تحت سقف بيت واحد عاصروا فيه نهضة الهند وتغذوا من ثمارها وتنسموا عبيرها وأريجها الفواح .

ولد طاغور فى اليوم السادس من شهر مايو عام ١٨٦١ فى بيت الطاغرة الكبير وفى شارع دواركادس طاغور بكلكتا . فكان هذا اليوم غرة فى جبين الدهر لأنه طلع على الناس بمولد عبقرى جديد .

الشاعر الملهم

تأثر طاغور فى طفولته ببعض حوادث أثرت فى مجرى حياته منها موت أمه فاستعاض عن حبها وحنانها بأن اتجه بعواطفه ومشاعره نحو أمه الكبرى الطبيعة يطلب منها السلوى والعزاء .. ولما كان أبوه صاحب مشغوليات جسام تركه فى رعاية بعض خدم منزله الذين كان يثق فيهم ثقة عمياء . ولكن طاغور لم تعجبه هذه الحال وفضل الوحدة على عشرة الخدم ففيها رياضة لذهنه ومجال لكى يطلق لفكره العنان فى مسائل الحياة الدنيا التى كانت تستنفذ منه جل أوقات حياته .

ولقد اثرت هذه الوحدة فى مشاعره وأحاسيسه فأرهفتها وشحذت قريحته الوقادة فكان كلما خلا الى نفسه نظر من نافذة منزله الكبير الى الحديقة الواسعة التى تحيط به فتعجبه أرضها السندسية وحشائشها الخضراء الزاهية الخضرة وأشجارها الباسقات فيغيب فى تأملاته لهذه المناظر الخلابة التى تأخذ بمجامع القلوب فتهز فيه كوامن الشجن وتعصف بشعوره ووجدانه فتنطق لسانه شعراً رائع القوافى ساحر المعانى .

ولنستشهد بما قاله طاغور فى هذا الصدد عن أيام طفولته وما تركته فى نفسه من آثار ومقومات كونت شخصيته وصبغتها بلون خاص عرف به عن غيره من عظماء الرجال الذين كان للبيئة أكبر الأثر فى حياتهم .

يقول طاغور « كنت نسيج وحدي وكانت وحدتي هذه طابع طفولتي كان أبي دائماً يتغيب عنا في أسفاره وأعماله ورحلاته وان كان وجوده في منزلنا كلما سنحت الفرصة بذلك، قد أفادنا وأثر في حياتنا تأثيراً جوهريا لأنه كان عالما جليل القدر واسع الاطلاع مهيبا فاضلا. ولقد تركت لرعاية الخدم بعد موت أمي فكنت أجلس يوما بعد يوم أطل من نافذة حجرتي لاصور لنفسي ما كان يدور في العالم الخارجي حينذاك . واني لأذكر كيف كنت مولعا بالطبيعة مغرما بها إلى حد الجنون حتى انني لا أستطيع ان أصفها لك أو أصف شعوري الحقيقي نحوها » .

ان الأقدار لم تترك طاغور ينعم بعزلته في برجه العاجي أو يغترف من مناهل الطبيعة وحيه والهامه بل نغصت عليه حياته في فترات من الزمن متقاربة ففقد زوجه وهو في الحادية والاربعين من عمره . وكانت له معينا لا ينضب وسندا قويا في ترتيب أفكاره وقرض أشعاره بما كانت تهيؤه له من أجواء خيالية أو شاعرية . ثم كانت فوق ذلك تكره المادة فلم تجبره أو تبدي له رغبتها في الجري وراءها من أي طريق .

كان طاغور مثلا رائعاً في الوفاء والتضحية في سبيل من يحب فكان لموت زوجه بعد شهرين من آلام المرض أثر كبير في نفسه ، فألم لفراقها وجزع لبعدها عنه ونظم في موتها قصيدة هي بمثابة درة في جبين الشعر الهندي ومثل نادر للوفاء والتضحية .

ثم فجعته الحياة أيضاً بعد عامين في وفاة زوج ابنته التي كانت عنده بمثابة

أغلى جوهرة حصل عليها فى دنياه . ثم لا حقته الأقدار ففجعته فى أبيه فكان مما قاله فى رثائه .

أبى أنت صخـــرة حياتى
كنت لى منبعاً لفرحى
وسـلاماً لروحى . . .

ولم تنته به سلسة المآسى بل أختتمتها الحياة بأنتزاع أبنه الصغير من بين أحضانه . فكانت هذه الفواجع صدمات ولكمات كالها له القدر الغشوم ، فأثرت فى تفكيره ومن ثم فى أشعاره وطبعتها بطابع تسرى فيه روح الحزن والألم المرير .

وإذا كانت الحياة مع هـذا قد منحت طاغور عبقرية نادرة ولوذعية فذة وأهلته لكتابة أشعار تعد بجيدة ممتازة . إلا أنها حرمته من تدوين أشعار يمجد فيها أسرار الطبيعة مثلا ، فاستعاض عنها بكتابة نثر وشعر يصور فيهما الألم أو ينزع فيهما نحو المأساة . نعم . هذه المصائب المتلاحقة صدعت أفكاره ، وعكست على مخيلته بعض صور تخيلها وكأنه هو الآخر على وشك الرحيل إذا غربت شمس النهار ، وانتهت أيامه بظلمه الرمس فلم تخلو أشعاره من ذكر الموت، فغدا بذلك شاعراً مكتئباً حزيناً ، يشفق على نفسه من فراق الدنيا وهو جاهل لأسرارها ، لا يعرف من خباياها الكثير .

طاغور والمدرسة

إن قصة حياة طاغور فى المدرسة لا تخلو من طرافة . كان أبوه قد أرسله إليها فلم يبد فيها نجابة أو مهارة . لأنها لم تكن كما يقولون المكان اللائق بشاعر مجيد بل كانت الطبيعة هى خير معلم له . وحاول أبوه أن يرسله إلى أحسن المعاهد وأرقاها فى الهند لكن مزاج أبنه ومشاعره المرهفة كانت دائماً عقبة كأداء فى سبيل تعليمه وبعد جهد كبير أدخل طاغور أكاديمية البنغال ولكنه لم يظل بها طويلا لأن روحه الطليقة النازعة إلى الحرية لم تتحمل الكبت . فكان يكره نظم التعليم وتقاليدة ويقول فى ذلك « كنت أشعر بضيق وبؤس مريرين كأنى أرنب محبوس فى معهد بيولوجى ، وفى مقام آخر يقول . كنت أضيق ذرعا بالمدرسة وبالتعليم الهندى . كنت أكره نظام الدراسة . فإذا أصبحت مشكلة عويصة الحل أمام أهلى قر رأيهم على أن يرسلونى إلى إنجلترا لأخضع هناك لنظم التعليم وتقاليده .

والواقع أن الصغير سبب لوالده متاعب لا يمكن حصرها ، فكثيراً ما كان يعنفه أو يوقع عليه عقوبات شديدة فلما لم تفلح تهديداته سمح له أن يتلقى دروسه على أيدى أساتذة أجلاء فى منزله ، وحتى هذه الطريقة لم تنجح النجاح المرغوب منها . فلم يظهر طاغور أى رغبة فى التعليم . بل

كان يتلقى دروسه الحقيقية من الحقول الخضراء والمروج النضراء والحدائق الغناء والأودية والجبال ومن شروق الشمس ومن غروبها . ومن بزوغ ذكاء ومن إبتلاج للقمر . . ومن القرى والمدن المزدحمة ومن كل من قابلهم فى العالم الخارجى . وذلك كله لأنه كان حالما وكان مستقلا . كان مرهف الحس ملتهب الشعور .

وأخيراً لما أعيت أبوه الحيلة ناداه ذات يوم وقال له . ها أنت حر يابنى أختر لنفسك ما تشاء فلست مضيقاً عليك الخناق بعد ذلك مادمت تكره المدرسة كرها أخرجنا عن صوابنا وكاد يأتى بنا إلى مالا تحمد عقباه . « فالتفت إليه طاغور وقد تهللت أساريره وقال . « يا أبت إن أذنت لى فأنا إلى الأدب البنغالى جد مشتاق انهل درره وآيانه

وهكذا ، تأثر طاغور بكبار شعراء البنغال منهم الشاعر المجيد بانكيم شاندرا الذى عاصره لعدة سنين ، وقد أثرت فيه أشعاره التى كانت تعرف بأنها موسيقى ذات إيقاع يغزو النفوس ، وكان بانكيم راوية أيضاً وكان ذا صـــوت جهورى حلو وتأثر طاغور أيضاً بأغانى باهرليل شاكارباتى وأشعار « كابير » الشاعر الملهم للكبير . ومن هؤلاء تعلم طاغور أصول الشعر والنثر وان كان تأثير كابير عليه كان طاغيا جارفا .

الشاعر فى صدر شبابه

كان أب طاغور كثير الأسفار ، وكان يصحب معه ابنه من وقت لآخر . فزار وهو فى الثالثة عشرة من عمره جبال الهيمالايا لتأدية بعض الشعائر الدينية . ولهذه الجبال العظيمة شهرة واسـعة وتأثير مباشر على الحياة الهندية عموماً . ولا يتداركن إلى ذهن القارىء أن ذلك مرجعه أنها تقف سداً منيعاً حصيناً فى الدفاع عن الهند فحسب بل لأنها مهبط الروحانية ومعين لا ينضب لها . زد على ذلك أن الفلسفة والثقافة والفن الهندى تدين لقمم هذه الجبال بالرفعة فمن كهوفها ووديانها وغاباتها ومن قممها الثلجية الصاعدة إلى عنان السماء تأثر الفلاسفة والشعراء ، وامتلأت قلوبهم بنور الحق والإيمان . .

وفى وسط هذه الوديان الجميلة التى تحيطها الخضرة الزاهية من جميع الجهات وتحصنها قمم الجبال الشوامخ فى « دالهوزى » استقر المقام بالأب وابنه فى كهف عند أقدام الجبل . وخرج الاول للعبادة والتفكير عن النفس . بينما انطلق الثانى هائماً على وجهه فى الغابات والجبال وقد نسى نفسه تماماً بين أحضان الطبيعة لا يسلوها ولا تسلوه . ففى غداة كل يوم يهرع إلى ينابيع المياه المتفجرة من الصخور أو إلى الغدران فى لهفة إلى خرير الماء وجريانه بين الحصى والرمال . أو يجرى هنا وهناك باحثاً

عن مساقط المياه أو شجيرات الزهر والزنابق الحمراء والبيضاء مناجياً أمه الطبيعة بلغة لا يفهمها سواه ...

وفى الليل إذا سطعت النجوم وتلألأت تبادل وإياها رسائل كلها الغاز . وإذا هبت الرياح حملت معها روحه إلى عالم الأحـــلام .. وإذا مرت سحب المساء ألقت عليه سحرها فيقف مشدوهاً مشتت الوجدان . هنا انطلق لسانه من عقاله بشعر رصين وتدفق تدفق المياه من عل وفى ظلال الهيمالايا مكث طاغور أربعة شهور كاملة يدرس النحو والفقه والفلك فى الهواء الطلق تحت إرشاد أبيه الذى كان له الفضل فى تكوين شخصيته وصقلها وتهذيبها بما لا تستطيع المدرسة أن تأتى بها بين جدران أربعة أيا كانت الظروف ...

بلغ طاغور الرابعة عشر من عمره وأصبح يجيد صياغة الشعر ، فهزت أشعاره البنغالية مشاعر الناس ، ولفتت الأنظار ورانت إليه القلوب . فما جاء عام ١٨٧٤ حتى نشرت له الجرائد قصيدته العصماء « ابهيلاش » أى « الطموح » وبدأت تغزو أشـعاره من هذا التاريخ الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية .

ولنذكر طرفاً من هذه القصيدة التى تعد بحق أجل ما كتبه طاغور يناجى فيها الطموح :

« يامن سحرت العقـل البشرى »

« الطريق إليك شائك وعر »

« الناس يهرعون إليك كلما دوى فى الأفق صوت نفيرك »

« ويندفعون ويتزاحمون بالمناكب »

« ثم لايلبثوا أن يضيعوا فى غمار الحيـاة »

« يندفعون ليتعلقوا بظلالك »

« ثم لايلبث أن يردهم الشك على أعقابهم »

« شباك الخداع هى التى تجذبهم إليها »

« فينساقون ثم يقعون كالغزلان فى فخاخ الصياد »

« ترفق أيها الطموح بهؤلاء الذين تبهرهم أضواؤك »

« فيغرقون فى بحار الرذائل والخطايا »

« أيها الطموح . . إن الفلاح تخدعه أحلامك »

« أحلام القصور والثروة والجـاه والذهب »

« ولكن هذه الكنوز الخادعة تكشفها الحقيقة السافرة »

« فترتطم على صخرة الحياة وتتناثر أشلاء »

عرف طاغور من مقالاته وأشعاره التى كانت تظهر تباعاً فى جريدة يومية كان يشرف عليها أخوه الأكبر فى إظهار طاغور وخلق سمعته الادبية ، ولعل أبرز ما كتبه فيها «قصة الشاعر» التى طبعت له فى كتاب خاص فيما بعد .

وفى اليـــوم العشرين من شهر سبتمبر عام ١٨٧٨ أبحر طاغور

إلى انجلترا ليدرس الأدب الإنجليزى مع أخيه ساتياندرات طاغور .
وفى لندن كان طاغور موضع إعجاب أساتذته لنجابته وسرعة بديهته ،
وتتلمذ على يد أستاذه هنرى مورلى الذى أعجبته وبهرته عبقرية طاغور
ونقده لحياة الإنجليز فى بلاد الهند فى مقال يعد أروع ما كتب الأجنبى .
كما استطاع أن يلم بأطراف الأدب الإنجليزى ويتبحر فيه خلال سنوات
عاد بعدها إلى الهند حيث استقر به المقـــام فى مدينة شاندراناجار
على ضفاف نهر الجانجز ...

طاغور والإنجليز

عاد طاغور من بلاد الإنجليز يحمل معه ذكريات موحشة عن هذه البلاد . كشف عنها فى سلسلة مقالات ظهرت له فى جريدة أخيه المعروفة باسم « بهاراتى » تحت عنوان « مشاهدات زائر لأوروبا » نقد فيها تقاليد الانجليز البالية وعجرفتهم وعنجهيتهم وتعاليهم الكاذب كما كان حربا شعواء على حضارتهم التى لم تعجبه أو تهضمها نفس الشاعر . وفى كتابه « ذكريات » عاد إلى ذكر مقالاته السابقة عن الانجليز ، اختتمها بعبارة بليغة ذات معان أحد من السيوف القواطع هى قوله « أن التواضع ميزة لا تتصف بها كل الامم فما أحوج بعضهم إليها » .

كره طاغور الانجليز كراهية مطلقه ، وراعه أن يلمس ما أتصف به الخلق الانجليزى من رياء وخداع ، وما ذاقه الناس من حكمهم الجائر واستعمارهم البغيض . . فحاربهم حربا شعواء وألب عليهم غضب الهنود ، وكشف حقيقتهم أمام الامم جميعاً . وكان لمقالاته عنهم أثر السحر فى النفوس ، الشئ الذى أقلق بال الانجليز . فعملوا له كل حساب ولكنه لم يأبه بهم ، بل استمر طول حياته يكيل لهم الصاع صاعين ، ويردهم على أعقابهم خاسرين . . واستطاع طاغور مع هذا أن يكسب صداقة الكثيرين من كتاب الانجليز وشعرائهم لاسيما الاحرار منهم

الذين كانوا يعلمون حق العلم ماهية الخلق الانجليزى الاستعمارى البغيض .

ثار طاغور على الانجليز أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة ، ووقف لهم بالمرصاد ، يتعقبهم أينما كانوا ، ويلاحقهم بلعناته وسخريته أينما حلوا فى ربوع الهند .. ونازلهم فى أكثر من ميدان ، ووصفهم بالقراصنة واللصوص لأنهم سطوا على خيرات الهند وثرواتها ، وأجاعوا الهنود ، وتركوهم فى بطاح الهند وأراضيها مشردين معذبين بلا مأوى وبلا كساء ..

إن العار الذى لحق الانجليز من جراء مهاجمة طاغور لهم وكشفه النقاب عن خلقهم لا يمكن أن يهمله أو ينساه التاريخ لأن قلم طاغور كان أقوى من السيف البتار وأقوى من أن ينسى له التاريخ هذه الصفحة من الفخار ...

إنتاج طاغور

أنتج طاغور وهو فى العشرين من عمره كتابه «أغانى المساء» تبعه بآخر سماه «أغانى الصباح» وفيه ترنم الشاعر بمعانى الحرية. وفى كتابه الاول الذى كتبه على ضفاف الجانجز ومن وحى ما كان يحيط به من مؤثرات أسهب الشاعر فى وصف الطبيعة حتى نسى نفسه فى غمارها ويعد كتابه الثانى أحد كتبه الاساسية. كتب بعض فصوله بين التلال والوديان. والمستمع إليه وهو يناجى الصدى بقوله.

أيها الصدى أنى أحبك أكثر من أى شئ آخر.. وإن كنت تربكنى وتزعجنى. كم أحب أن أنصت إلى الطيور وهى تغنى من شفتيك.. وأرهف سمعى إلى خرير المياه وإلى الموسيقى الساحرة التى تنطلق من القبور.. ولكن لست أدرى لماذا لا أستطيع أن احلك وأنا أبحث عنك فى كل مكان...

وقبل هذين الكتابين أخرج طاغور كتاباً آخـــر أطلق علية «القلب الكسير» وهو آية صادقة لما كانت عليه حياته بين الخامسة عشرة والعشرين.

استطاع طاغور إذن أن يبدأ رسالته فىالحياة فى هذه السن المبكرة ويعلم الناس ماهية الحرية فى اشعار زادت على السبعة آلاف بيت من

الشعر قبل بلوغه الثامنة عشرة ذلك عدا مقالات طنانة رائعة فى الأدب والاجتماع والحقوق. فرسخت قدمه بين زمرة أدباء البنغال ، كما أستطاع أن يوطد صداقته ويكتسب احترام الشاعر البنغالى الكبير شاندرا شاترجى الذى هام بأشعار طاغور كما هام الأخير أيضاً بأشعار شاندرا التى تنزع إلى الحقيقة وحرية الفكر. ولكن مما يؤسف له أن هذه الصداقة لم تدم طويلا بسبب ما قام بينهما من نزاع حول بعض المشاكل الاجتماعية.

وفى عام ١٨٨٣ ، تزوج طاغور من سيدة صالحة رقيقة عاونته معاونة صادقة فى حياته فأتاحت لشاعرنا أن يعيش فترة من الزمان خلوا لمؤلفاته وأفكاره وأشعاره وليس نهبا لمشاغل الحياة أو مشاغل الزوجية التى لاتهدأ أبداً . أنجب منها طاغور ولدين وبنات ثلاث.

كان الشاعر لا يحب المدن بل ينفر منها ويعيش بعيداً فى الخلاء على ضفاف الأنهار وبين الحقول والمروج حيث الورود والريحان . .

وبعد ثلاث سنوات قام طاغور برحلة فى ربوع الهند ليدرس فيها طبائع الهنود واختلط بهم وعاشرهم عن قرب وألم بمشاكلهم وتقاليدهم. ولم يطل به الوقت حين استدعى فجأة ليحمل عبء العائلة بعد وفاة أبيه وليتربع على ضياعه الواسعة يديرها ويصرف أمورها . . فكان لابد مما ليس منه بد واستطاع طاغور فى مهمته الجديدة هذه أن يندمج مع الفلاحين ويلمس مدى شقائهم وتعاستهم . وفى ذلك يقول « أنى أشعر بعطف نحو هؤلاء المساكين . هؤلاء الذين يصمدون للأقدار بنفس راضية. يجزعون

حتى تكاد أحشاؤهم أن تتمزق . ولكنهم لايلبثوا أن ينسوا جوعهم وآلامهم .

درس طاغور مشاكلهم وتغلغل فى فهم مصدر تعاستهم وعاونهم فى ساعات شدتهم ونفث فيهم حب التعاون ، وقضى على ما كان ينشأ بينهم من نزاع عائلى مستمر .

ان سنوات المزرعة كانت أحسن سنى حياته . أتم فيها كتابة موضوع درامى « التضحية » وقصة طويلة « شترانجادا » . . وتعد أولى وأحسن ما كتب فى الفن الدرامى البنغالى والثانية أروع قصة بشرية يحلل فيها النفس أبدع تحليل عرفته الانسانية .

وساهم أثناء هذه السنوات فى كتابة مقالات طنانة فى مجلة شهرية أسمها « السادهانا » غير كتابه المعروف بهذا الاسم « كنة الحياة » وكذلك فى كتابة أشعار كان لها فعل السحر فى نفوس البنغاليين .

وتحول طاغور تدريجيا من نواحى الأدب إلى نواحى الاجتماع والسياسة فكتب مقالات نارية عن الحوادث الجارية يحلل فيها ويدافع عن كرامة الهنود وكرامة المجتمع الهندى وكان من نتيجة ذلك أنه كون حزب « سانتينيكيان فيديالا » الذى ساهم فى مجموعة من الأحداث الاجتماعية والسياسية ظهر بعدها كبطل من أبطال السياسة والاجتماع .

طاغور الشاعر

إن لفظة «كابى» فى اللغة السنسكريتية معناها العام «شاعر»، ولكن معناها الحقيقى هو «نبى». كان طاغور بين أهله أكثر من شاعر وأكثر من كاتب أى أنه كان «كابياً» أى نبيا بما تشمله هذه الكلمة من معان.

ومن المعلوم أنه فى مدى الواحد والثمانين سنة التى عاشها طاغور على الأرض، كتب شعراً ونثراً، وأغانى ودراما، وغير ذلك، ولكن الأثر الحقيقى لحياته وأعماله ليس الشعر أو النثر بل أثر المصلحين، أثر الروح الخالد الذى كان يبحث وينقب فى عالم صاخب ملىء بالضوضاء، ويعمل جاهداً على تهدئة هذا العالم وأراحته بما أفاض وأجاد من رسائل الحق والايمان.

كان طاغور دائب الترحال، زار بلاداً كثيرة، ورأى أمماً مختلفة، ودرس عن كثب مبادىء هذه الشعوب الفلسفية، ثم أعطى للعالم أخيراً خلاصة تجاربه وحكمته عندما يقول.

«إن الله السرمدى ينادى أرواحنا على الدوام، ينادى أرواحنا غير المحدودة، غير المقهورة، أرواحنا الخالدة. ومع ذلك فانه ينادى أرواحنا التى غمرها التراب.»

ولد طاغور ، فى البنغال ، ذلك الاقليم الذى كان مزدهراً فى ذلك الوقت على جميع مقاطعات الهند .. وفى أوائل القرن التاسع عشر استطاع أحد مهراجات الهند « راموهان روى » أن يقوم ببث روح جديدة فى أفراد الهنود ، وخلق دين جديد ، وكان يعلم حق العلم ، وهو البرهمى الهندى مدى التدهور الذى كانت تعانيه الهند وكم كانت تئن من نير المستعمرين ، فكان الهدف من حركته إصلاح ذات البين والقضاء على الاستعمار ما أستطاع إلى ذلك سبيلا .

كانت حماسة طاغور فى هذا المعترك الجديد ، معترك السياسة والأدب والاصلاح الاجتماعى ، بالغة الأثر اذ استطاع أن يستعيد حماسة الهنود ويلهب وطنيتهم .

يقال أن «راموهان روى» قد يكون هو الذى أرسى حجر الاساس فى تغيير آراء الهنود واكتسابهم أفكاره الجديدة وأنه كان ضمن هؤلاء الهنود الأوائل الذين ساهموا فى إشعال أفكار الهنود وإلهاب حماستهم نحو تحرير الهند وخلق هند جديدة ولكن طاغور يعد بحق تلميذ هذه الثورة ونبيها على السواء .

عاد طاغور إلى الهند من أوروبا ، وكان اقليم البنغال فى ذلك الوقت قد استيقظ من سباته العميق ، وعمت فيه الافكار الجديدة وروح جديد فى الدين والأدب والسياسة ، ودخل طاغور المعركة ، وفى ذهنه أن يخلق مستويات جديدة ، وثار طاغور على التقاليد القديمة المحافظة ،

وخلق عصرا جديدا كله نشاط ، وكانت أعماله فى هذه الحقبة مليئة بالحياة ووضوح كتابته ، وعمق تفكيره فى أشعاره الاولى بلورت عقول الشباب ، وأصبحت حلقة هامة فى شعر وأدب البنغال استطاع طاغور أن يحول قلمه إلى كتابة الشعر السياسى والاغانى والمقالات . وهذا بعض ما قاله فى إحدى المناسبات السياسية « احتفال الهندوس » والتى تظهر بوضوح متانة شعوره كسياسى عظيم :

ليس فى هذا الاجتماع طراوة بل ضراوة الشعلة الثائرة ، لا الحظوة ولا القناعة بل القوة الصارمة . سواء سمع الانجليز صرخاتنا أولم يسمعوا فبلادنا هى إلى الابد بلادنا . بلاد آبائنا وأبنائنا وأحفادنا الواهبين الحياة لنا . الواهبين القوة والخير لنا . »

كانت الحركة السياسية التى أذكى أوارها طاغور قد بلغت حدا من النضوج ، فاصطبغت كتابته فى هذه الحقبة بالثورة والعنف ، والسخط على الاستعمار فقد صب جام غضبه على الانجليز ، وأذكى فى قلوب مواطنيه كراهيتهم ، فلاقوا من كتاباته الملتهبة الرتيبة الامرين .

كان طاغور أدرى الناس بالخلق الانجليزى ، وأعلم علم الناس بمكرهم ، فلم يرحمهم ، كان سخطه عليهم عظيما . . كان قلمه وكلماته النارية عاملا هاما فى تقويض أركان الاستعمار الانجليزى فى الهند . .

مدرسة طاغور

فى عام ١٩٠١ عندما أصبح طاغور شاعراً مطبوعاً ، راعه ميل شباب الهند إلى اعتناق المبادىء الغربية التى أفسدت نمو الأدب الهندى، وطغت على نظام التعليم هناك ...

كان طاغور يعلم حق العلم بأن نظام التعليم الاوربية التى شاعت فى الهند كانت بعيدة كل البعد عن جوهر الحق والحقيقة . إذ كان تأثير هذا التعليم واضحاً على الناحيتين الادبية والمادية فى النشىء ، بعيداً كل البعد عن الناحية الروحية فيهم ...

قال طاغور فى إحدى مقالاته « إننا لا نزال فى الهند نحن إلى المنازل والاماكن التى كان يهيمن عليها كبار رجالنا العارفين ... لم تكن هذه الاماكن مدارس أو أديرة بما تشملها هذه الدور العظيمة من معان ... بل كانت منازل عاش فيها رجال عرفوا الله تعالى وقدسوه وفهموا معنى الحياة ...وهم وأن كانوا قد عاشوا خارج المجتمع ، إلا أنهم كانوا للمجتمع كأثر الشمس على الكواكب ...كانت هذه المنازل مصدر العلم والمعرفة ومركز النور والحياة .

ويقول أيضاً « فى الهند القديمة كانت المدرسة أينما كانت الحياة نفسها،

كان التلاميذ يتعلمون بطريقة مغايرة لطريقة اليوم . . كانوا يتعلمون فى وحدة صارمة ، وقداسة مطلقة ، وعزلة قاتلة .. كلها تأمل وكلها تفحص كانوا يأخذون القطعان إلى المراعى .. ويجمعون الحطب . . ويقطفون الثمار .. ثمار العطف والحب للمخلوقات طرا . . ونمت فيهم روح المحبة بفضل معلميهم وكبارهم العارفين . كانت هذه الدور مأوى للذين وهبوا حياتهم وكرسوها لخدمة الله .

• كان التلاميذ يعيشون فى دور معلميهم كما يعيش الأطفال فى دور ذويهم ، لم يكن ليدفعوا تكاليف إقامتهم ومعيشتهم . بل كان المعلم يعيش فى بساطة تامة ويعاون تلاميذه بكل ما أوتى من جهد ، لا مطمع له غير تثقيف النفوس والسهر على رعايتها وتكوينها أحسن تكوين . كان هذا هو المثل الأعلى لكل معلم . . نكران الذات والتضحية فى سبيل خلق نشىء عظيم .. خلق نشىء يقدس الحرية والعدالة والمساواة .

خلق نشىء لا يعمل للمادة أى حساب .. بل يعيش فى وحدانية مطلقة باحثاً عن الحق .. عن الحياة الصحيحة التى يجب أن يحياها الناس جميعاً .. نشىء يعيش فى فقر مدقع ، بعيد عن لذات الغنى والأهواء والفساد ..

كنت أشعر دائماً بأننا فى حاجة ملحة ليس إلى المال أو القوة أو الراحة بل إلى حرية الضمير ، حرية الحياة فى بارئها ، لا نعادى أحدا ولا نضارى أحدا .. بل نكون دائما بعيدين عن هؤلاء الذين لا يضمرون لنا الخير ولا يودون لنا البقاء ..

وعلى هذا عمد طاغور إلى وحدته .. إلى عزلته . . ليتعمق فى دراسة آداب قومه ، وينهل من تراث آبائه وأجداده .. فأنشأ أول مدرسة ثقافية فى الهند ، تدين له بكل فضل وأثر ، ألا وهى الفيديالا فى سانتينيكيتان والتى أصبحت اليوم ملتقى الثقافتين الغربية والشرقية فى الهند .

كان هدف طاغور أن يخلق جوا من الحرية لتلاميذه وكان يشاركهم فى ألعابهم ، ويقص عليهم أحسن القصص ، ويجعلهم يشعرون بأن عصا المعلم لا وجود لها فى عالمهم ، وأنهم أعضاء سعداء فى مجتمعه الجديد .. كان طاغور يؤمن بأن عقل الطفل كالحبة التى يجب أن تؤتى ثمرها وليس كالحبة التى يجب سحقها بين حجرى الرحى ..

كان هم طاغور أن يخلق شعور الثقة والاستقلال والاعتماد على النفس فى نفوس تلاميذه بدون أى تدخل أجنبى يؤثر على مقوماتهم وحياتهم . لم يكن فى مدرسته فصول دراسة منتظمة ولا مقاعد يجلس عليها الطلبة بل كان يجلس وإياهم تحت ظلال أشجار المانجو ، وفى الهواء الطلق، ويختار لهم مدرسين تتصف أخلاقهم بالمرح والهدوء والرزانة .

كانت لوائح مدرسته تقول « أن معهدنا المثالى مكانه تحت ظلال الأشجار الوارفة ، فى بلادنا الواسعة بعيداً عن ضوضاء المدينة الصاخبة ويقوم على تصقيل عقول الطلبة فيه مدرسون أكفاء أمناء ، فى جو مشبع بالسلام والسكون . وسوف تلحق بالفيديالا البساتين والحدائق وسوف يتعاون الطلبة فى إصلاح الأرض وحلب الأبقار ..

وعندما عاد طاغور عام ١٩١٤ من أوروبا ، كانت مدرسته قد ازدهرت ، وعرفت فى الشرق والغرب على السواء ، وزاد عدد طلابها زيادة ملحوظة وأدخل عليها فروع كثيرة من العلم والآدب واللغات الشرقية . وفى عام ١٩٢٧ أدخل فيها قسم خاص بالآداب الاسلامية والإيرانية بفضل مجهودات سعادة نظام حيدراباد وغيره من كبار رجال الهند

أوقف طاغور أملاكه على معهده العلمى وكذلك قيمة جائزة نوبل التى حصل عليها ، وحقوق كتبه البنغالية وحصيلة بيع كتبه الانجليزية . .

وأصبح معهد طاغور عالما بذاته كما كان يقول جينه توكيه الفرنسى الذى زار المعهد وقضى فيه بعض أيام « أنه معهد يقوم العقول تقويماً صحيحاً ، من الناحيتين الاجتماعية والاستقلالية ، وعلى أحدث النظم وأدقها » .

جائزة نوبل لطاغور

كان رابندرانات طاغور شخصية عالمية ممتازة ، حمل رسالة الحب والسلام للعالم كله . كانت رسالته تحارب التعصب العنصرى ، وتعمل على خلق تفاهم دائم بين الأمم . قضى طاغور حياته كلها يحارب وجود الحواجز المفتعلة التى تفصل الأمم بعضها عن بعض . .

ناصر طاغور الزنوج والملونين،وسخط على سوء معاملةالامريكيين لهم . لم تقتصر مناداته للسلام على الهند فقط بل تعدتها إلى العالم الغربى. وفى زيارتيه لاوروبا وانجلترا كان دائماً يحاول أن يفسر وجهة نظر الشرق نحو المسائل العالمية التى كانت تشغل الرأى العام فى كل مكان فى ذلك الوقت . كما عمل على توطيد الصلة بين كبار رجال الفكر فى أوروبا وبين مفكرى الهند .

وفى منتصف عام ١٩١٢ سافر طاغور المرة الثالثة لاوروبا. وقبل هذا الوقت بقليل اعترفت الهند بما أسداه إلى الادب البنغالى من آيات بينات ، فاحتفل الادباء بيوبيله الذهبى . وفى اليوم الثامن والعشرين من شهر يناير عام ١٩١٢ عقد اجتماع عظيم فى كلكتا واحتفل الناس جميعاً بشاعرهم الوطنى وكان هذا أول احتفال رسمى فى الهند لشاعر وأديب عظيم . وكان كثير من شعراء الغرب يعجبون بعظمة أشعاره

وبما تشمله من معان عظيمة كما بدأوا يتأثرون بشخصيته الفذة وعبقريته النادرة ومدى تأثيرها على الهند نفسها .،

ما أن وصل طاغور إلى لندن حتى بدأ شعور الاسى يخالجه . لقد كانت الحياة فى لندن غريبة عليه ، لايستسيغها فى قليل أو كثير . . . بلدآخر غير الهند يختلف عنه تمام الاختلاف فهناك الهدوء والسلام وهنا... هنا فى قلب لندن المؤامرات والدسائس والمنازعات . . فقر عزمه على زيارة صديقه وليم روثنستين الفنان الانجليزى الكبير ، فبدأت اتصالات طاغور بكبار رجال الأدب الانجليزى عن طريق صديقه ذاك . فتعرف على و . ب . يتس وستوبفورد بروك ونيفنس ن ، وه . و ويلز ، وديكنسون وبرتارند رسل وغيرهم من مشاهير الرجال . وكسب صداقة س . ف . اندووز الذى توطدت بينهما عرى الصداقة إلى سنين عديدة .

وكان هذا العدد العظيم من مشاهير الادباء الانجليز قد تأثر بعبقرية طاغور ، وأصبحوا أشد الناس حماسة لافكاره وآرائه الجريئة الهادئة .

فالشاعر و . ب . يتس أعجب بشعر طاغور ، وطلب ترجمة كتابه قربان الاغانى جيتانجالى وقدم له بقوله « لقد دأبت على قراءة هذه الترجمة لمدة أيام فى زحمة القطار وفى السيارة والمطعم وكنت أعمد إلى تركها جانباً حتى لا يرانى إنسان وأنا أهتز طربا من قراءتها . هذه الاشعار بل هذه الانغام السماوية مليئة بالألوان والأطياف وما كنت أحلم به طوال حياتى .

أما الناقد الانجليزى الكبير ستوبفورد بروك فيقول عن نفس الكتاب « إننى أعيد الاشعار التى قرأتها أكثر من مرة بإعجاب متزايد ، مع عرفانى بأثرها الروحانى العميق ، ولما تضفيه على القارىء من فرح جزيل ، ولما تشمله من حب الجمال. ياليتنى كنت استحقها ».

أما الناقد مـ‍ـايلك فيقول « هذه الاشعار أحسن ما كتبه إنسان فى تاريخ الوجود » .

ولكن يتس كان أكثر شعراء الانجليز تأثراً بأشعار طاغور ومن ثم عمل على تقديمه إلى أدباء أوروبا المعاصرين ، فمهد للاحتفال به رسميا فى لندن ودعا إلى الحفل خلاصة رجال العلم والنقاد فى انجلترا وأشاد وأجاد بمواهب طاغور الشاعر الانسان ، ورد عليه طاغور ببلاغة وبراعة عندما قال معلقا على قول ويلز المشهور « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقى الاثنان » بقوله :

الشرق شرق والغرب غرب ولابد أن يلتقى الاثنان فى سلام ووئام .

وسافر طاغور إلى أمريكا ، وهناك قوبل بحفاوة بالغة وتقدير عظيم لعبقريته الفذة ومقدرته العظيمة وعلو شأنه .

ولفت كتابه الخالد « جيتانجالى » أو « الاغانى » نظر لجنة جائزة نوبل . وهى اللجنة التى تكونت بعد موت المخترع السويدى العظيم الفريد نوبل عام ١٨٩٦ . وكان نوبل قد اخترع الديناميت ومتفجرات أخرى فى حياته وأثرى ثراء كبيراً من إختراعاته المذهلة ورصد قبل وفاته مبلغ مليون وثلاثة أرباع المليون من الجنيهات الانجليزية لتوزيعها على خمس

جوائز سنوية وحدد لكل منها مبلغ ثمانية آلاف وثلثمائة جنيه انجليزى تمنح لخمسة أشخاص .

الاول ـ لاعظم مستكشف فى علم الطبيعة خلال العام .

والثانى ـ لاعظم مستكشف فى علم الكيمياء خلال العام .

والثالث ـ لاعظم مستكشف فى الطب خلال العام .

والرابع ـ لاعظم كاتب خلال العام .

والخامس ـ للشخص الذى عمل خلال العام على بث روح السلام فى العالم .

وفى نوفمبر عام ١٩١٢ فوجىء العالم والشاعر نفسه بخبر منحه جائزة نوبل فى الآداب . والحق يقال أن لجنة نوبل قد وفقت تمام التوفيق فى منحها الجائزة لطاغور وفى ذلك تقول جريدة البول مول الانجليزية « إن لجنة نوبل لم تؤد الغرض منها كما أدته فى اختيارها لطاغور » .

وقال أسقف بسالا أثناء زيارة طاغور للسويد « إن جائزة نوبل للآداب لا تمنح إلا للكاتب العظيم الذى يستطيع أن يجمع بين روح الفنان وروح النبى . ولم يستطع إنسان أن يحسن الجمع بين الاثنين غير رابندرانات طاغور » .

ويأخذ روثنستين فى كتابه المشهور « رجال وذكريات » على الانجليز جلهم فى الاعتراف بفضل طاغور على الأدب العالمى عامة والهندى خاصة . وفى ذلك يقول « إنى لآسف لان انجلترا تركت دولة أجنبية أخرى

تعترف بفضل طاغور على الادب عامة . . . وكان أجدر بها أن تسبق السويد فى ذلك » .

واحتفلت الهند بشاعرها مرة أخرى ، وانطلق خمسمائة عالم وأديب فى قطار خاص إلى مقر طاغور لتهنئته بفوزه العظيم . ولكن طاغور أخذ عليهم أنهم لم يسبقوا الغرب فى الاعتراف بفضله بل واجههم بقوله « ما الذى أتى بكم اليوم أيها السادة ؟ . هل هز اعتراف الاجانب من مشاعركم ووجدانكم ؟ . . يا للأسف . . إننى لا ارتضى أن انتشى معكم على خمر أجنبية » .

وحز هذا الرد الجاف فى نفوس الهنود ، ولكن أحد السياسيين العظماء دافع عن طاغور دفاعا مجيداً بقوله « لا يستطيع رجل فى مركز طاغور وفى مثل رهافة حسه أن يكون أقل غضبا منه فى مثل هذه الظروف » .

وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٩١٤ عقد اجتماع خطير فى البرلمان الهندى قلد فيه اللورد «كارميشيل» شاعر الهند الأعظم طاغور وسام الجائزة والشهادة الخاصة بها . . . وعلق طاغور على ذلك بقوله « إنه تقدير يدل دلالة واضحة على مدى الفهم الذى قرب البعيد وجعل من الغريب أخا » .

وأسرعت الجامعات الهندية بمنح طاغور درجات علمية رفيعة فمنحته جامعة كلكتا فى ديسمبر عام ١٩١٣ دكتوراه الشرف فى الآداب وتبعتها جامعة داكا ومنحته حكومة الهند أيضا أرفع الاوسمة فى يوم عيد ميلاده اعترافا بما أسداه للهند والعالم من فضل عظيم .

وطنية طاغور . .

بدأت الحركات الوطنية التحررية تأخذ مكانها فى الهند فى منتصف القرن التاسع عشر ، ومهدت الطريق تمهيداً لنهضة شاملة ، وتحرير كامل. كان رائد هذه الحركة الوطنية المباركة المهراجا «رام موهان روى» القائد الكبير الذى أشعل نار الوطنية فى الهند .

وبالرغم من سيطرة الافكار الغربية وقتذاك على شباب الهند الذين كانوا يتلقون ثقافتهم البريطانية فى الهند أو فى انجلترا ، فقد أهلوا أنفسهم لثقافة رفيعة ممتازة ، جعلتهم يطالبون بحقهم فى الحياة الحرة الكريمة ، أو بمعنى أدق يطالبون بحقهم فى إدارة بلدهم ، والسيطرة على مرافق الحياة فيه بدل الأجنبي الذى كان متغلغلا فى كل شىء ، مسيطراً على كل ناحية من نواحى الحياة فى الهند . .

طالب هذا الشباب الثائر بحقه السياسى بوحى من وطنيته المتدفقة التى جعلتهم ينادون لوطنهم بالتحرير والاستقلال من ربقة المستعمر وطغيانه ... ومن هنا بدأت حركات الثورة على الانجليز وعلى تفرقتهم العنصرية وتعصبهم الذميم ضد الهنود على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم .

وفى طلائع هذه الثورة بدأ طاغور يعمل بسرعة ونشاط ضد اللوردات البيض أو الآلهة البيضاء فى الهند . . . فكتب أشعاراً ملتهبة

فى ذلك منها « الكانا » و« الكامانى » ليذكر الهنود بواجبهم نحو وطنهم المقدس ... وكتب مقالات نارية ليجمع فيها كلمة الهنود على اختلاف عقائدهم ، ويوقظهم من سباتهم العميق ليعيشوا كبلد حر فى هذا العالم .

وفى عام ١٨٩٠ بدأت خيوط النهضة تتجمع فى يد رابندرانات طاغور فقد أعلن سخطه الشامل على سيطرة الأجناس على بعضها البعض . ووقف يناضل ويطالب بحرية الجنس البشرى ، وبالرغم من أنه ظل الشاعر الموهوب الذى يمجد جمال الطبيعة ، وينادى بعظمتها ، ويتغنى بمجدها ، إلا أن شعور الوطنية الدافق لم يكن ميتاً فيه . فقد كان حرباً شعواء على الحكم الأجنبى فى الهند مثله فى ذلك مثل المهاتما غاندى وغيره من مشاهير الرجال . ولكن طريقة طاغور فى حربه للعبودية فى الهند كانت مختلفة تمام الاختلاف عن الطريقة التى يتبعها عادة رجال السياسة .

كانت طريقة طاغور كطريقة المهراجا « رام موهان روى » إذ كان يحث الناس على عدم انقيادهم لرؤسائهم وحكامهم ، ويلفت نظرهم تدريجياً إلى ضرورة الإصلاح الاجتماعى والتعليم . . .

رفض طاغور أن يشترك فى أى حزب سياسى وأوقف قلمه على خدمة وطنه ، وإن كان عدم اشتراكه فى الهيئات السياسية لم يدم طويلا . فوطنيته المتأججة جرته جراً إلى معترك السياسة قهراً عندما هدد استقلال البنغال عام ١٩٠٥ فقد أرسلت بريطانيا اللورد كورزون إلى الهند ، وكان معروفاً عن هذا الرجل شدة دهائه ومكره وريائه ، ومعه خطة تجزئة البنغال إلى إقليمين ، وبالرغم من معارضة البنغاليين

على هذا التقسيم فقد أصر اللورد الانجليزى على مسألة التقسيم وإقامة إقليم أغلبه من المسلمين .

وكان الغرض الأساسى من هذه الحركة إضعاف الحركة التحررية الناهضة فى الإقليم ذاته، ومن ثم أثارت الرأى العام ، ليس فى البنغال وحده بل فى جميع الأقاليم الأخرى، وبدأت الحكومة الأجنبية تقمع هذه الحركة التحــررية بما أوتيت من قوة ومنعت اشتراك الطلبة فى الحركات السياسية ، وحرمت عليهم الاجتماعات والتجمهر ، ولكى تخيف وترعب الجماهير الساخطة ، وتحد من تأجج الثورة فيهم سلطت عليهم وحدات الجوركا العسكرية فى شرق البنغال بقيادة السفاح السير فولر الذى أعلن للجماهير الزاحفة قوله المشهور : « إراقة الدماء أمر بسيط لن أتردد فى إصداره ... »

وواجهت خيبة الأمل كبار رجال الإقليم فقد وجدوا أنفسهم طعمة لنار الحقد والانتقام ، فاضطروا تحت رحمة الظروف القاسية أن يذعنوا للأمر الواقع، ويتقدموا باحتجاج سلمى لأولى الأمر من آلهة الانجليز ..

وعمد كبار رجال الهند العارفين بلرد على عدوان الانجليز بمقاطعة بضائعهم والعمــل على تعميم التعليم الأهلى فى مختلف أنحاء البنغال ... وعليه سنت القوانين والموانع لاتباع سياسة تعليمية وطنية صرفة للطلبة الذين فصلوا أو طردوا نتيجة لاشتراكهم فى الحركة الوطنية التحررية .

ووجد طاغور أن الوقت قد حان ، وأن حلمه الكبير قد تحقق

فاندمج فى الحركة الجديدة اندماجاً ، وأعان على الملأ الاعلى أنه أصبح قائدها ورائدها الأول . فبدأ بسلسلة مقالات ومحاضرات هامة ألهب بها شعور الشباب .. وألف الأغانى الحماسية التى كان لها أكبر الأثر على النشء البنغالى . فأصبح القائد الأول لهذه الحركة الوطنية ، وأول من نادى بالاستقلال التام يسانده فى ذلك الزعيمان ببين شاندرا بول وأورو بيندو خوس .

وفى اجتماعات صاخبة أعلن طاغور فى جرأة عارمة بأن السياسة الامبراطورية لتقسيم البنغال سواء من الناحية السياسية أو الثقافية لم يكن الغرض منها سوى إضعاف موجة التحرر الناهضة فى الاقليم .. وليس من المبالغ فيه ان نقول بأن صراع طاغور فى وقف مشروع التقسيم لم يكن هناك أقوى منه ولم يكن لقلمه من يضارعه فى قوته وصولته وفى محاربته لبدعه الانجليز الذين يؤمنون بسياسة التفرقة .. ولكى يجعل من حركة التقسيم ذكرى لاينساها البنغاليون أعلن الاحتفال بها فى اليوم السادس عشر من شهر أكتوبر عام ١٩٠٥ ، أعلن فيه « وحدة البنغال » المعتدى عليه ، رغم أنف الانجليز .. وأمر بإجراء احتفال آخر هو الاستحمام فى نهر الجانجز اعترافاً بوحدة البنغال التى لاتتجزأ . وفى مساء نفس اليوم ألقى طاغور خطاباً سياسيا هاما حض الناس فيه على ألا يستكينوا أو يهدأوا حتى يلغى التقسيم .

ولم يستطع طاغور أن يحافظ على زعامته هذه عندما وجد آراءه تتعارض مع آراء شباب البنغال التى كانت تعارض الحكومة . وكان طاغور يبث فى الشباب روح الاصلاح الاجتماعى والعمل على تثقيف الرعاع

فى حين أن البنغاليين الثائرى الدماء لم يميروا دعوة طاغور كبير التفات بل فضلوا عليها الاشتراك والنزول إلى المعترك السياسى . فبدأ النزاع بين الشعب والشاعر . وكره الأتباع مسالمة طاغور للأمور وكره الشاعر فيهم حركاتهم الطائشة السريعة ونتج عن ذلك أن انسحب طاغور من معترك السياسة والزعامة وعاد أدراجه إلى الوحدة والعزلة فى مكانه المفضل سانتينيكيتان .

يقول السير ب . س . راى « كان طاغور فى مقدمة الحركة الوطنية يغذيها بأغانيه الحماسية ويلهب شعور الرعاع بحقيقة التحرر وروعة التخلص من نير الاستعمار البغيض . كان طاغور حرباً شعواء على المادية والتعصب والتفرقة العنصرية فى الهند . عندما أقيم الاحتفال بتحقيق وحدة البنغال رغم أنف الحكام الآمرين كان ذلك من وحى طاغور وحده » .

وانتقد السياسيون انسحاب طاغور المفاجىء من معترك السياسة واتهم بالجبن والهروب ولكن الشاعر قابل كل ذلك بصدر رحب وطيب خاطر ودافع عن هروبه بأن الاصلاح الاجتماعى فى رأيه أجدى من النزاع السياسى للحصول على الاستقلال التام .

واعتزل طاغور مسرح السياسة نهائياً وانقطع للشعر والتأليف والسفر إلى الخارج ولكنه كان يراقب دائما الحالة التى وصلت إليها الهند .. ففى مارس ١٩٠٨ اكتشف فى مانيكتولا مصنعاً للقنابل واعتقل أكثر من خمس وثلاثين بنغالياً بتهمة العصيان وقلب نظام الحكم وإحراز أسلحة لهذا الغرض . ونهض طاغور ليدافع عن هؤلاء المعتقلين واتهم

الحكومة بأن هذه الحركة الجديدة نتيجة حتمية لضغطها على حرية الناس واتهمها أيضاً بالعنف والحكم الجائر الذى لابد أن يولد الانفجار ..

وأعجب طاغور وأشاد فى نفس الوقت بالتضحية الشريفة التى قام بها باريندرا كومار غوش وصحبه فى سبيل تحرير البنغال من يد الانجليز الطغاة . وترنم طاغور بالروح الفدائية الوثابة وبالشهامة والرجولة الحقة التى أبداها شباب البنغال الذين محوا ما كان يقال عنهم بأنهم جبناء ، خضعوا لرهبة الانجليز . فكانت النتيجة أن حطموا سلاسل الاستعمار تحطيما ، ونكلوا بالانجليز فى البنغال تنكيلا ..

وحشية الانجليز فى الهند

فى عام ١٩١٩ كان طاغور قد بلغ أوج مجده . ، واكتسب إعجاب شعراء وفلاسفة الغرب بعد أن منح جائزة نوبل كما أسلفنا كرسول للانسانية فى كل مكان. وفى الوقت الذى كانت الحرب الكبرى قد أوشكت فيه على النهاية وانتصر فيها الانجليز وأعلنت الهدنة عام ١٩١٩ وكان حكام الهند الأجانب قد خرجوا من الحرب ظافرين وكان الهنود الذين أبلوا بلاء حسنا فى معارك الحلفاء فى العراق وفلسطين وأوربا، قد أخذوا يطالبون بالحكومة الذاتية وتصفية القواعد البريطانية التى كانت قد انتشرت فى الهند أثناء الحرب. وبدأ الافراد والزعماء الذين قادوا وتزعموا الحركة الوطنية التحريرية فى الهند بالمطالبة بهذه الحقوق علنا من بريطانيا بعد النصر الذى أحرزته فى الحرب . ولكن الانجليز هم الانجليز لاتغيير لحالهم أو تبديل ، فبدلا من عرفانهم بجميل الهنود وما أبلوه من بلاء حسن أنقذ الامبراطورية العجوز من الفناء والخراب ، ومات فى سبيل ذلك الألوف المؤلفة من الهنود ، عمد الانجليز الى إصدار قوانين صارمة لفرض روح الكبت والالزام . فأعطيت السلطات الواسعة الى رجال البوليس والحكومة المحلية لاعتقال وسجن وتشريد أى شخص يشتبه فى سلوكه أو له صلة بأى حركة معادية قد تنشأ ضد حكومة صاحب الجلالة ملك الانجليز.أو من شانها أن تهدد السلام الداخلى فى الهند. وكان الغرض الأوحد من هذه القوانين الصارمة هو القضاء على أى محاولة لإيقاظ الشعور الوطنى بين الهنود. هذا

الشعور الذى عمل الانجليز منذ احتلالهم للهند على كبته وإخفائه ومحوه من نفوس الهنود بشتى الطرق والوسائل ولايخفى علينا كمصريين ما كان يفعله المستعمر البغيض من بث روح التفرقة بين أبناء الوطن الواحد لاضعاف روح الوطنية المتأججة فى نفوسنا .

قال المهاتما غاندى يصف هذه القوانين الجائرة ، أن المقصود بهذه القوانين سلب حقوق المواطنين وسلب حريتهم الحقة واذلال نفوسنا ، وطالب المهاتما غاندى شعب الهند بالاضراب العام احتجاجا على نكران الانجليز للجميل ، وطالب اليهم أن يحتجوا بشدة على صدور هذه القوانين التعسفية . . ونفذ الشعب تعليمات غاندى الشىء الذى أفقد الحكومة وعيها لحدوث تحرشات واصطدامات مسلحة فى حيدر أباد ودلهى وآمر ستار راح ضحيتها أبرياء كثيرون وشهداء عديدون .. وشهدت آرمستار أعنف وأفظع تعذيب على يد حكامها الطغاة ، الذين لم يقتنعوا باعتقال عدد كبير من السياسيين بل قام الجنرال داير بموافقة السير ميشيل أودوير حاكم البنجاب العسكرى بهجوم عسكرى سرى على جاليناوالا باغ . وأعلن عقد اجتماع عام فى باغ فتجمهر ألوف من الشباب والشيوخ والنساء والأطفال على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم ودخل الجنرال بلدة باغ من مدخل ضيق ومن غير إنذار أطلق ألفا وستمائة طلقة مدفع رشاش وفى أقل من لمح البصر أصبح الجمع الغفير أكواما من أشلاء الجثث والقتلى . ويقال أن أكثر من أربعمائة شخص قتل وأكثر من ألف شخص جريحا . ويقال أيضا أن الجنرال الشجاع والقائد الذى لايشق له غبار والإله الأبيض المسيطر على أقدار الناس لم يأمر بالكف عن إطلاق المدافع الرشاشة حتى انتهت

الذخيرة من بين يدى رجاله الابطال . وجه أحد المحققين سؤالا لهذا الجنرال الشجاع بقوله ـ ألم يكن القصد من هذا الاجتماع هو تخويف الجماهير وتهويشهم ؟ فرد عليه القائد الصنديد بقوله ـ لا ياسيدى لم يكن ذلك هو القصد ـ لقد كان عبئا ثقيلا وكان على تنفيذه ، لقد كان شيئا بشعا . . قلت فى نفسى لابد أن أقتل وأقتل فى الصميم . . . حتى لا أترك الفرصة لغيرى بأن يقتل ويبدد الجماهير . كان سهلا على أن أفرق الجماهير من غير إطلاق رصاصة واحدة . ولكن كان من السهل على رؤسائى أن يسخروا منى إذا فشلت . فلم أشأ أن أكون أضحوكة لهم .

وكان لهذه المذبحة أثرها العميق فى مختلف أنحاء الهند . . ان التاريخ لم يشهد حتى فى أقسى عصور الظلام مذبحة كمذبحة باخ. والظلم والطغيان اللذين عرفت بهما المذبحة الاليمة ، التى راح ضحيتها مئات بل ألوف من الأبرياء و عدد كبير من النساء والأطفال لا لجريمة اقترفوها، بل لانهم طالبوا بحقهم فى الحياة كبشر .

فكر غاندى بطريقته الخاصة فى حمل البرلمان على أن يثور على الحكومة الخاطئة وكذلك أهالى الضحايا الذين كانوا على أهبة الاستعداد لتنفيذ أى حركة يقوم بها غاندى ، وكان طاغور يتبع تطور الأحداث باهتمام زائد . وقد آلمه طغيان الحكام وهزته مذبحة باخ هزاً عنيفاً وأخرجته من عزلته وصومعته ساخطا ناقما محتجا على الطريقة التى عومل بها الهنود وأظهر شعوره فوراً وذلك بأن خلع النياشين البريطانية التى منحت له وردها الى اللورد تشلمز فورد وأرفقها بهذا الكتاب البليغ .

« يا صاحب السعادة .

إن الأساليب الوحشية التى اتبعتها حكومة البنجاب لقمع حركة أهلية قد كشفت لنا نحن الرعايا الخاضعين لشريعة بريطانيا العظمى عن ضعفنا الكبير . وأن القسوة التى اتبعت فى عقاب الجماهير الأبرياء والطرق التى طبقت فى إفنائهم أثبتت لنا بأنه لا مثيل لها فى تاريخ الحكومات المتمدينة بل أقول لم يكن لها نظير فى تاريخ أبشع العصور وأظلمها..

وبالنظر إلى أن هذه الوحشية قد عومل بها الجمع الغفير من الناس العزل من السلاح ومن وسائل الدفاع عن أنفسهم ، على أيدى المدمرين المخربين فاننا نحتج بشدة وبعنف ولا نقبل أى رد على هذا الطغيان المقصود . إن الآلام التى يعانيها إخواننا اليوم فى أنحاء البنجاب قد امتدت إلى كل ركن من أركان الهند ، والسخط العالمى على الظلم قد ثار فى قلوب شعبنا فتنكر له قوادنا ، وأغلب الظن أنهم يهنئون أنفسهم على ما أبدوه من شجاعة ورجولة وبطولة منقطعة النظير فى المذبحة الشنعاء .

لقد امتدحت الجرائد الانجلو هندية القساوة البالغة التى اتصفت بها المذبحة المديرة وذهبت الجرائد إلى أبعد من ذلك بأن سخرت من آلامنا ونكبتنا وهى تعلم حق العلم بأن صيحتنا وسخطنا واحتجاجنا قد ذهبت جميعها أدراج الرياح ، وأن شهوة الانتقام عمياء لا تبصر ، قد أعمت الحكومة فأصبحت لا تفرق بين الغث والسمين .. أو بين العمل الصالح والعمل الفاسد والشىء الذى أستطيع عمله من أجل وطنى ومن أجل قومى

هو أن أعود باللائمة على نفسي .. وأن أرفع صوت الملايين من أبناء شعبي محتجاً على الوحشية والتعسف والظلم الذى لقيه أبناء وطنى فى رحابكم آنذاك حان الوقت الذى ظهر فيه أن نياشينكم ماهى إلا عار وحقارة ومذلة ومهانة لمرتديها ، وأنا من ناحيتى أحب أن أقف مجرداً منها بجوار أخوانى وأبنائى ومواطنى وأهلى الذين هم عرضة للتجربة والتبديد والتهديد والتشريد من أجل كرامتهم وحريتهم .

وهذه هى الأسباب الأليمة التى دعتنى وأجبرتنى على أن أسأل صاحب السعادة بكل فخر أن يعفينى من وسام الفروسية الذى تسلمته من صاحب الجلالة . على يد سلفك الذى كانت طيبة قلبه مصدر إعجابى واعزازى .

كلكتا فى ٣٠ مايو ١٩١٩

« رابندرانات طاغور »

وبهذا الرد المفحم لم يعرض طاغور لوطنيته الصادقة فحسب . بل كشف للعالم بأن الهنود وقد مر على احتلالهم أكثر من مائتى عام لا زالوا يتمتعون بخلق كريم وأصل عريق عن هذه الأمة المتمدينة المتحضرة التى أغدقت على نفسها صفات العظمة من غير حساب،فأطلقت على نفسها اسم بريطانيا العظمى ، ثم طفح كيل هوسها ، فنازعت الطبيعة سلطانها ، وأطلقت على نفسها أيضاً .. بريطانيا التى لا تغرب الشمس عن ممتلكاتها كأنى بها قد ملكت العالم من أدناه إلى أقصاه ، وكادت تنصب نفسها وحاشا لله ، إلها على العالمين .

كان وسام الفروسية أرفع وسام منح لهندى تحت الحكم البريطانى . ولكى يحصل عليه الانسان ، لابد أن يكون رفيع الشأن كشاعرنا ، أو عبقريا فى نظر الناس وفى نظر الحكومة أيضاً ، أو يكون آلة لا يمكن الاستعاضة أو الاستغناء عنها فى نظام الاستعمار البريطانى .

كان لا يحصل على هذا اللقب إلا القلة القليلة من علية القوم وأصحاب الملايين والأمراء الذين كانوا يتقاتلون ويستميتون فى الحصول عليه بشتى الطرق والوسائل ..

أما طاغور فلم يبهره اللقب ولم يستهوه لمعان الوسام ، لأنه كان وطنيا من الطراز الأول ، بل كان أفضل من مئات من الوطنيين الذين زجوا فى أعماق السجون ، لأنه كان مثالا نادراً للانسانية فى أجلى وأسمى معانيها ولأنه كان أول من يقف فى سبيل نصرة الانسانية والعدالة ويدافع عن مواطنيه العزل فى أى بقعة فى العالم فى جراة نادرة ، وفى حماسة ظاهرة ، وفى بأس وعنف .

لم يكن طاغور من النوع الذى يسكت على إذلال الانجليز لمواطنيه ، أو تحقيرهم ابنى وطنه ،كان أهون عليه أن يضحى بكل عزيز لديه فى سبيل وطنه ومواطنيه .

لقد عز على طاغور أن يرى النكبات تتوالى على الهند ،وتسن القوانين والشرائع لحماية الضباط الذين اشتركوا فى قمع ثورة البنجاب . وأن تظهر الحكومة عطفها على الجرائد التى أشادت ببطولة رجال المذبحة من الانجليز وفى كتاب له إلى صديقه أندروز يقول :

« إن النقاش المفتعل الذى دار فى البرلمان ، يحز فى نفوسنا حزناً ويؤلمنا ألماً بالغاً لما ينطوى عليه حكم الطبقة الحاكمة فى الهند من عنف وخيانة .. إن أحاديثهم الجوفاء التى تطبل لها الجرائد وتزمر لا تخيفنا على قباحتها . إن شعور الكراهية للاستعمار الانجليزى فى مجتمعنا قد نما نمواً سريعاً خلال الخمسين سنة الماضية وإن عزاءنا الوحيد فى محنتنا هو إيماننا الصادق وحبنا الحقيقى للعدالة متمثلة فى الشعب الإنجليزى الذى كنا نظن أن روحه لم تتسمم بعد بجرعة القوة الغاشمة التى تكتسح الإنسانية وتفنيها .. ولكن ها قد سرى السم كالنار فى الهشيم ، فى كل أعضاء الأمة البريطانية » .

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى ثار فيها طاغور على الانجليز ، ففى أخريات سنيه ، وهو مريض وقبل موته بشهرين أى فى ٤ يونيو ١٩٤١ احتج وهو طريح الفراش على ما قامت به الآنسة راثبون ومطالبتها تعضيد البرلمان لها بفض الحياة الدستورية فى البلاد « لأننا اليوم فى حرب مع أعدائنا ، فهؤلاء القواد وأتباعهم يعملون ما فى وسعهم لإنهاء الحرب بكل الطرق الممكنة ، وهم فى ذلك يلعبون دوراً قريباً دور الحلفاء والأعداء » .

وفى خطابها حاولت أن تشين من حركة زعماء الهنود ، ومن بينهم جواهر لال نهرو ، الذين كانوا يطالبون بالانفصال عن الكومنولث وفى ذلك تقول « وأنت يانهرو يامن أحببت انجلترا . . . أى قدر تهيؤه بأفعالك وسلطانك لانجلترا التى أحببتها . . . شئ واحد واضح وضوح

الشمس فى رابعة النهار هو أنك وغيرك من قواد الهنود والاتباع تدينون لانجلترا ، لانكم اطمأنتم ظمأ كم من مناهل الفكر الانجليزى وأنكم تدينون للغرب والمعلمين الانجليز الفلاسفة منهم والعلماء وكذلك رجال الاجتماع والسياسة . إننا لا نلوم الهنود عند وضعهم الهند فى المكان الاول ولكن أى خدمة يؤدونها للهند إذا هم قاوموناونحن فى حرب عالمية مع أعدائنا، ولنفرض أن مقاومتكم لنا قد أكسبت الحرب لالمانيا وإيطاليا واليابان فهل هذا معناها الحرية والاستقلال للهند ؟ فى أغسطس عام ١٩٤٠ ، كتب جواهر لال نهرو يقول « إننا على استعداد لمجابهة المصاعب والاخطار ... أننا لا نرغب فيما يسمونه حماية الجيش والبحرية الانجليزية لنا . . إننا سنحمى أنفسنا بأنفسنا . . إن هذه لخرافة وأية خرافة ، فالامة التى تستطيع أن تحمى نفسها لا بد لها من استعدادات طويلة . . والأعداء المنتصرون لا يعطون ضحاياهم الوقت الكافى .. فإنهم سيجلبون على الهند الخراب والدمار أكثر مما كان فى « آمر ستار » .

اعتبر طاغور خطاب الآنسة راثبون دعوة للمنازلة . وطمنة نجلاء صوبتها إلى قلب الهند وهو طريح الفراش فرد على راثبون بكتاب يعتبر غرة فى جبين التاريخ والأدب الهندى .

« لقد آلمنى خطاب الآنسة راثبون المفتوح إلى الهنود . . ولست أدرى من هى راثبون هذه . . ولكنى أعتبرها ممثلة للانجليز . فخطابها موجه إلى جواهر لال نهرو الذى لو لم يكن سجينا وراء قضبان سجون بنى جلدتها لاستطاع أن يفحمها الرد القاطع . وسكوته هذا يدفعنى إلى أن أرفع صوتى بالاحتجاج وأنا على فراش الموت .

لقد أساءت السيدة لقومها بتوجيهها مثل هذا الخطاب إلى الهنود .

إنها تفضح عدم عرفاننا بجميل قومها . الذين نهلنا من أفكارهم .

إن لدينا أفكارنا الأصيلة .. ولكن ياسيدتى أية أفكار هذه وما هى المحاولات البريطانية تحاول أن تميت فينا كل ناحية لها صلة بالفكر .

كنا نستطيع أن ننهل من أى مورد أوروبى آخر وهل انتظر الناس الآخرون الانجليز لكى يضفوا على حياتهم النور نور المعرفة والعرفان » .

أنه لمن المؤسف حقاً أن يظن الانجليز أنهم لو لم يعلمونا لظللنا فى ظلام العصور وفى جاهلية مطلقة . .

إن الانجليز لم يجلبوا معهم للهند غير أسوأ طرق التعليم وأحطها .

ولنفرض جدلا أن اللغة الانجليزية هى مصدر إلهامنا ومعرفتنا وأنها قد عمرت فى الهند أكثر من مائتى عام ، فأى تأثير كان لهذه اللغة على مستوى تعليم الهنود . . إن واحداً فى المائة يعرف الانجليزية فى الهند ياسيدتى ، فى حين أنه فى الاتحاد السوفييتى وبعد خمسة عشر عاما من تطبيق النظام السوفييتى أصبح عدد المتعلمين فيه ٩٣ ٪ .

ماذا فعل الانجليز للهند بعد أن استعمروها أكثر من مائتى عام ؟

لقد مصوا دماءها واستنزفوا خيراتها وجعلوها قاعاً صفصفا .

ماذا فعلوا لفقرائنا .. انى أنظر حولى فأرى الأكف تجأر بالشكوى وتضج بالصراخ من أجل لقمة العيش . لقد رأيت نساء فى القرى يحملن

الطين من أجل قطرات قليلة من الماء لأن الآبار فى الهند أندر من وجود المدارس بها .

« إننى أعلم حق العلم أن انجلترا تعانى اليوم مجاعة وضيقاً ، وآلم لذلك ، ولكنى عندما أرى البواخر الانجليزية ورجال الأسطول الانجليزى يفرغون على الشواطىء الانجليزية خيرات بلادنا ويتركوننا نموت جوعا وعريا فاننى آلم كذلك لهذه الحال الذى وصلت اليه بلادنا على أيدى أترابك أيتها السيدة الانجليزية . .

فهل نكون إذن ممتنين للانجليز ؟

أنظر حولى فأرى السخط العارم يتأجج فى صدور الملايين من أبناء قومى . .

أرى كرامتنا قد طمرت فى التراب ، وأرواحنا تذهب هباء ، وممتلكاتنا وخيراتنا تنزع منا فى وضح النهار ، ونساؤنا يتمرغن فى الوحل . أرى الجيش الانجليزى العظيم لايحرك ساكناً . .

فقط يدوى الصوت الانجليزى من وراء البحار باللائمة علينا . .

إن كل انجليزى فى بريطانيا اليوم مسلح ليحمى نفسه وبيته ضد العدو . ولكن فى الهند ماذا أقول . . كل شىء محرم على الهنود . . حتى الدفاع عن أنفسهم فشعبنا قد ترك هكذا محروما من كل وسيلة دفاعية ليظل دائماً تحت رحمة الأسياد المسلحين . .

إن الانجليز يكرهون النازيين لتفوقهم عليهم ، وتتوقع الآنسة راثبون منا أن نقبل أيادى قومها فى عبودية ذليلة ..

ليس الحال أن الانجليز غرباء فى ديارنا ، ولا يجدون ترحيباً منا ، وأن لامكان لهم فى قلوبنا .. وأنهم يظهرون بمظهر الرقباء على مصالحنا ولكنهم مع الأسف خانوا الأمانة ، وضحوا برفاهية وسعادة الملايين فى الهند فى سبيل سعادة فئة قليلة من الرأسماليين منهم خارج الهند ..

كنت أظن أن الانجليزى العاقل سوف يقنع بالسكوت والصمت الطويل ويتستر على عيوبه وأخطائه .. ويعترف بفضلنا عليه ..

ولكن تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن .. فسبنا ولعننا ، ورش الملح على جروحنا وتنكر لاسياده ».

كانت حياة طاغور مليئة بهذه المواقف المشرفة . عندما تثور فيه العاطفة ، وتتأجج فيه الوطنية ؟ . كان طاغور نبياً فى تصرفاته وعلى الأخص عند ما كانت تهز شعوره المرهف آلام الملايين من أبناء جلدته .

كان طاغور يحب وطنه من كل قلبه ومن كل فكره .. تغنى بمجده فى أشعاره العظيمة ، ولا تزال أشعاره تهز الأفئدة والقلوب فى الهند لاسيما فى أحلك ساعات الصراع السياسى .

كتب غاندى كثيراً فى السياسة ، وكشفت مؤلفاته للعالم الخارجى حالة الهنود المؤلمة تحت ظل الاستعمار الانجليزى . وبما أنه كان زعيما

سياسياً لحزب سياسى فإنه كان يعد مشايعاً فى نظر أعدائه ولذلك كان وضعه يختلف عن وضع طاغور . . إذ كان الأخير رجلا عميق التفكير عظيم الروح،فوق مستوى الساسة جميعاً لذلك كانت كلماته وآراؤه،وأشعاره بمثابة آيات تصدر عن نبى . ومن المعلوم أن ماأداه طاغور لبلده فى كشفه لحقيقة الاستعمار الانجليزى فى الهند ليفوقن الوصف . لذلك فإن مكانه أسمى من أى مكان لكاتب أو شاعر أو سياسى ظهر حتى الآن فى تاريخ الهند .

إن مكانة طاغور كوطنى من الطراز الأول لاتتعارض مع مكانته الدولية فحبه لوطنه كان جزءاً من حبه للبشرية جمعاء .

كان طاغور يؤمن إيماناً متيناً بأنه ليس من حق دولة أن تسيطر على دولة أخرى وتخضعها وتميت فيها روح العدالة والمساواة . كان طاغور إذا رأى الظلم متفشيا فى دولة ما بحكم كونها محكومة على يد دولة أكبر منها وأقوى فإنه كان لايتردد فى الوقوف فى صف الدولة المظلومة ورفع صوته بالاحتجاج الصارخ على الظالم ضد المظلوم . من ذلك أنه تألم من ظلم موسولينى للحبشة وطغيان النازية فى أوروبا . ومن أجل هذا دعته اسبانيا والحبشة والصين بالصديق المخلص العظيم الذى وقف مع كل منها أيام محنتها . وأن الهنود ليدينون له بالوطنية والولاء . وأنه كان فى نظرهم أكثر من وطنى وأكثر من شاعر وأكثر من نبى .

طاغور والحضارة الغربية

أنجبت البنغال شعراء كثيرين تمتعوا بشهرة واسعة، لكن طاغور وحده هو الذى أثر على الفكر والادب البنغالى تأثيراً كبيراً . . فقد ساهم بنصيب وافر فى إحياء الهند الجـــديدة . وخدم الإنسانية أجل الخدمات فى جميع أنحاء العالم، عن طريق أشعاره الســاحرة ولمساته الفلسفية الخالصة فى كل مايتعلق بالمشاكل الإنسانية . .

وشهرة طاغور اليوم تملأ العالم من أدناه إلى أقصاه وكتاباته لم تقتصر على البنغال بل كانت للعالم أجمع مصدراً للنور، ومنبعا للرحمة وخلاصاً للنفوس .

كان الشاعر الانجليزى أوسكار وايلد يظن أن الغرض من الشعر هو ملء جوانب النفس بالفرح والنشوة . . ولكن الشعر عند طاغور كان له مغزى آخر أعمق وأدق . فعنده أن التقدير النفسانى للجمال هو مصدر الوحى والإلهام .

فأغانيه كانت منسوجة من نسيج العواطف والشعور بالوطنية واللمسات الثورية . وفى وقت قصير استطاع طاغور أن يخلق لنفسه اسما لا معا ككاتب للقصة القصيرة والدراما والرواية وكناقد وفيلسوف

ولكن شهرته الاساسية كانت تدور حول موهبته الوجدانية التي أثرت تأثيراً كبيراً على اتجاهات الادب في العالم كله . .

عالج طاغور كل موضـــوع جامد أو مائع كما عالج الموضوعات السياسية والاجتماعية ، الاهلية منها أو العالمية فسره للناس بطريقته الخاصة فأصبح الموضوع الجامد أو المائع متمنطقا بلباس الخلود . .

كل محاولات طاغور سواء في الشعر أو النثر وسواء كتبت في عهد متأخر أو عهد متقدم فإنها تبدو جميعها وكأنها تميط اللثام عن ألغاز القلب البشرى ، لما امتازت به من عمق في فهم النفس البشرية . وقد طرق طاغور كل مايختص بالحياة الإنسانية ، وكل مايهم البشرية وهو في كل ما تناولته يده لم يتخل عن المثالية المطلقة . .

وهو في حياته الخاصة كان ابناً باراً وأباً عاطفياً ممتازاً ، وزوجاً مخلصاً أميناً ، وسيداً مرهوب الجانب . .

وهو في مقدرته الخلقية كان وطنياً نبيلا ، ومصلحاً ، ومعلماً عظيماً ، وقائداً مثالياً . وكان في وضعه العالمي صاحب رسالة السلام والحرية والمحبة . . وهو كما يقول « كاى سيرانج » « كان رجلا عالميا بل أكثر مخلوق بشرى » . .

كانت أميز ناحية في طاغور مقدرته على اكتساب صداقة أعنف النقاد في الهند لانه كان منذ حداثته يعشق بساطة الحياة . فلم يجدوا فيه تعقيداً . . كان بسيطاً في كل شيء ، في ردائه ، وفي حركاته ، وفي نظراته ،

حتى لحيته البيضاء الطويلة كانت مصدراً لاحترام الناس له وكان بمجرد رؤياه يوحى للنفس منظر نبي من أنبياء الهند القديمة . .

تدرج شعر طاغور فى أطوار كثيرة . فنى صدر شبابه كان شعره عاطفياً . وفى سنواته الوسطى اصطبغ شعره بصبغة حزينة وفى سنواته المتأخرة رجع طاغور الى عصره القديم إلى أيام شبابه فامتاز شعره بالضحكات وامتزجت بحوره وقوافيه بالنشوة وبقوة الشباب فصدحت موسيقاه . .

كانت فلسفة طاغور فى الحياة تعتمد على أسس الروحانية . أحب طاغور العالم لأنه خلق لغرض أسمى هو خدمة الحياة وقيادتها وحبها ..

يقول طاغور :

أيها العالم احتفظ لى بكلمة فى غياهبك . .

عندما أموت « أعلم أننى قد أحببتك »

ويقول فى موضع آخر « عندما لا يعرف الشخص علاقته بالحياة فإنه يعيش فى سجن حوائطه غريبة عليه ، وعندما يكتشف الروح الخالد فى كل شئ إذن فقد أعتق من سجنه ، لأنه قد اكتشف أسمى أغراض الحياة التى فيها ولد وعندئذ يجد نفسه وقد عرف الحق ولماذا خلق » .

ويقول أيضاً « إن حق السيادة هو حق البشرية . . هذا هو الحق الأعظم فإذا أفسد الناس هذا الحق ، وإذا تقيد الناس بحكم العادة حتى لا يخطئوا فى حكمهم أو إذا حطم الناس طرقهم حتى لا يسيرون بعيداً

فإن هذه الامة هي أكبر أمة ترسف في أغلال العبودية والذل تحت ستار التقليد أو الدين » .

سخط طاغور على شباب الهند الذين كانوا يعتنقون المذاهب الغربية الاوروبية وينفصلون من ماضيهم المجيد وهم في نظره قد أعمتهم الحضارة الغربية وخدعتهم مظاهرها ، التي تحيل الاخضر يابساً وتجعل العسل مراً كالعلقم » . .

وأراد طاغور مرة أن يثير حماسة البنغاليين ، ويحيي فيهم روح التضحية والكرامة فخاطبهم قائلا « أيتها البنغال الأم . . إن لك خمسين مليوناً من الابناء . . ولكنك لم تجعلي منهم رجالا » . .

كان طاغور محباً للموسيقى بل كان موسيقاراً أيضاً . لقد كتب أكثر من ألفي أغنية خلال حياته ترجم معظمها إلى جميع اللغات المعروفة . وكان فناناً عرضت له لوحات في باريس وبرلين وموسكو وقد قوبلت جميعها بتقدير عظيم . .

كان طاغور مرهف الحس لدرجة أنه كان يفضل الموت على حياة المذلة أو الهوان . . وفي ذلك يقول « إذا أردت الكرامة ، إذا أردت الحياة ، فالحياة هي أن تضحي أولا » . .

ونظام اللاتعاونية في نظره هو الاستجداء من الحكام . والاستجداء كما يقول لا يجلب الحرية . . فالمعتدلون في بلادنا يستجدون منهم وأياديهم مطوية . . والمتطرفون يستجدون وعيونهم محمرة بالغضب

وهذا هو الفرق بين الاثنين . . فالسابقون يهزون ذيولهم أمام أسيادهم والأولون ينبحون . . والمعتدلون يظنون أنهم حكماء والمتطرفون يظنون أنهم أبطال . . ولكن اللكمات من أيدى الانجليز والركلات من أقدام الانجليز تنهال بالتساوى على ظهور الاثنين . . والفضلات من موائد أسيادهم تتساقط لهم بالتساوى وهم يتزاحمون ويتقاتلون على التقاطها . . وليس لديهم الوقت الكافى لخدمة بلادنا . فالعمل الصحيح يظل مهملا . وتحت سيطرة هذه الظروف تكون الركلات من أقدام أسيادهم أثمن عندنا من فضلات الموائد . . فالموت أفضل لنا من أن نمد أيدينا لنأخذ بها هبات من مثل هؤلاء الناس البريطانيين » .

فى كتاب له لصديقه س . ف . أندروز يقول « دعنا ننسى المسألة البنجابية ولكن لا ننسى أننا لن نرضى بالذل بل سنعيد الأمور إلى نصابها . لاتهتم بأمواج البحر ، بل اهتم بالشقوق التى فى قاربك . . فالسياسة فى بلدنا حقيرة متواضعة . لها ساقان . . أحدهما قد تقلصت وشلت تماماً تنظر إلى الأخرى لتجرها فى ضعف . . ليس هناك انسجام بين الاثنين وبين سياستنا . . فى قفزاتها تتعثر وتقع وهذا هو المؤسف حقاً » . .

ثم يقول « مع من سنحارب ؟ مع هذه الصخرة التى لم تمسحها دماء يسوع . . كيف نغزوها ؟ بالاجتماعات أم بالاستجداء ؟

كان دين طاغور هو دين الانسانية . كان يدين بمذهب الفيدا « كتاب الهندوس المقدس » ، كان يكره التشيع لطائفة أو لحزب معين .

« فالشيعة مادية متطرفة . تنفث فى عقول أعضائها احساس الغيرة والانفصال . إنها عدو للحق والدين » . .

كان تأثير طاغور أيضاً كبيراً على الهنود المسلمين . وكان ينصح الهنود جميعاً بأن يلتقوا مع إخوانهم المسلمين فى محبة وإخاء . . وكان يعتقد اعتقادا صريحا بأن ماساهم به المسلمون فى إحياء الهند وبعث قوميتها لا يمكن إهماله وفى ذلك يقول « جاء المسلمون إلى الهند من الخارج . ومعهم ذخيرة من المعلومات والشعور وديمقراطية الدين الاسلامى الحنيف . فى موسيقانا وفنوننا وآدابنا ساهم المسلمون بنصيب كبير » . .

« فإذا اجتمعت الكلمة ، وتقاربت القلوب فى المجتمع الكبير على اختلاف طوائفه ومذاهبه فإن الحرية لابد أن تطرق أبوابنا بعنف . .

« ليس هذا تصوير أو أضغاث أحلام ، بل هو الرأى الصحيح الذى لابد أن يكون . دعنا لا نفرط فى قوانا . وأدر ظهرك إلى القلوب الجامدة قلوب الانجليز . . « فيأيها الهنود . . أيها المسلمون . . أيها المسيحيون . . تعانقوا واتحدوا . واطردوا العدو من بلادكم . . لأنه لابد لكم أن تنتصروا على الظالمين » .

كان الشاعر يطمع دائماً أن يرى بلاده عظيمة حرة مستقلة . كان يأمل أن يرى اليوم الذى تتحطم فيه قيود الظلم والطغيان ، ولكن الحياة لم تمهله ولم تحقق له أمله . .

كان طاغور لايحبذ اشتراك الطلبة فى الأمور السياسية . وكان يعتقد أن الطلبة يمكنهم أن يؤدوا خدمات جليلة الى وطنهم وذلك بتعليمهم السواد الأعظم من الأميين وفى ذلك يقول : « علموهم ليتثقفوا ويحموا أنفسهم لأن هذا هو الطريق الوحيد . علموا الفلاحين ولا تنظروا لمجد زائل أومال مصيره الفناء . بل اطمعوا فى أنكم قد وهبتم هؤلاء الحياة .

لايفوتنا أن نذكر علاقة طاغور بالمهاتما غاندى ونعرض لشخصيتهما عرضا خاطفا .

كان بين طاغور وغاندى اختلاف ظاهر . فالشاعر لم يكن ليخفى شعوره إذا مالم يعجبه عمل من الاعمال أو قول من الاقوال أو حركة من الحركات . فعندما أعلن غاندى عام ١٩٢١ عن حركته اللاتعاونية لم يوافقه طاغور على ذلك لأنه اختلف معه اختلافا كبيراً على طريقة مقاطعة التعليم . . وحتى فى الايام الاخيرة عندما رفض غاندى معاونة صبحاز شاندرابوز ، أكبر مقاتل فى سبيل حرية الهند ، حذره طاغور من سوء مغبة ماهو فاعل .

وبالرغم من كل ذلك فقد أحب طاغور المهاتما غاندى وكان يكن له كل احترام وتقدير . يقول طاغور : « انى أختلف مع غاندى فى أمور كثيرة،ولكنى أقدر الرجل وأجله.انه ليس فقط الرجل العظيم فى الهند ، . . بل أنه إعظم رجل فى العالم اليوم »

درس طاغور الغرب دراسة وافية ، واعتقد كثير من الغربيين أن

الشاعر لا يكن لهم أية صداقة لأن نقده لطرقهم وعاداتهم كان مريراً ساخراً . ولكن ليس هذا هو الواقع لأنه كان صديقا للانسانية جمعاء ، وعلى الأخص للمستعبدين والفقراء .

كان طاغور عدوا لدودا للظلم أينما وجد . كان رسولا للسلام وداعياً للحرية ومحبة الناس كانت له القدرة على فهم القلب البشرى ، ومنحه الله عز وجل قلباً كبيراً وخلقاً كريماً .

ويقول طاغور « عندما يسير مجرى النيل من الشرق إلى الغرب يسمع لخرير مياهه عذوبة تفرح لها روحى . إننى أشعر بسعادة طاغية عندما أجد أن الحق الذى يعيش فيه الفكر الهندى قد ترجموه إلى لغات مختلفة فى جهات من العالم مختلفة ..

وإذا كان طاغور قد سخط على العالم الغربى لقسوته وتعصبه الذميم فقد فعل ذلك أيضاً مع مواطنيه فى كل مناسبة دعت إلى ذلك . .

وأخيراً كان طاغور محباً للصالحات ، عدوا للموبقات سواء كان ذلك فى الهند أو فى الغرب .

حلل طاغور الغرب بقوله « عابد نفسه . . مساوم فى سوق الربح والقوة » ، « تعمل الهند على وحدتها ، ويعمل الغرب على تفرقتها . . تعمل الهند على توطيد علاقاتها مع الآخرين أما التفرقة فهى من عبقرية الغرب » ، الهند تحترم الرجال أما الغرب فلا يحترم غير الأعمال ..

تريد الهند الحرية للجميع . أما الغرب فلا يرغب فى الحرية إلا لذاته « دين الهند شامل جامع أما دين أوروبا فلا يتعدى أسوار الكنيسة » حارب طاغور مادية الغرب حربا ضروس- فى ذلك يقول كثير من الناس يظن أنى أتحدث كثيرا عن مادية الغرب وأقارنها بالكفاءة الروحية عند الهنود والواقع أنى لا أفعل ذلك عن عمد . لأنى أعرف الغرب وأعرف أنه يحقر الأفكار الروحانية فى حضارتنا . وفكرتى تتلخص فى أنه هناك كوكب عظيم مسلط على أفكار هذا الجيل . كوكب عظيم بجاذبيته يحط من قدر أفكارنا ويسير فى اتجاه غير اتجاه عالمنا .

وفى سنواته الأخيرة كان الشاعر قد فقد الأمل فى عدالة الغرب وعلى الأخص عدالة الانجليز الطغاة الذين كانوا يدعون بأنهم حماة الحضارة فى العالم .

وعند بلوغه الثمانية من عمره ألقى خطاباً هاما يعد من أروع ما قاله طاغور فى الانجليز وفى الإستعمار وفى الغرب على العموم.

« ولدت فى جو مشبع بالآداب وكان طبيعياً أن أجلس الانجليز على عرش قلبي . . . كان هذا هو الحال فى أول عهدى بالحياة . ثم دار الفلك وتغير الوضع ، ووضحت الأمور على حقيقتها واكتشفت كيف أن هؤلاء الذين اعتنقوا مبادىء الحضارة العليا طمروها فى التراب عندما طالبنا بحقنا فى الاستقلال والحياة الكريمة . .

« عنـــدما انكشفت أمامى الحقائق الجرداء ورأيت فقر الهنود اضطرب قلبي وتحطم ... وانزعجت فى أحلامى .. واضطربت فى تخيلاتى -

وبدأت أشك فى حقيقة وجودنا . . كيف أستطيع أن أفكر بأن الهند هى التى أبقت على حياة الانجليز وأعطتهم كل كنوزها ؟.. هذا هو الإجرام بعينه . . وهذه هى القرصنة بعينها . . كيف يسرقون الهنود العزل من ثرواتهم وكنوزهم ومناجمهم .. كيف . لست أدرى .. لا أكاد أتصور هذه الجريمة وهذا الحال ـ كنت أظن أن الحضارة لا تتمثل إلا فى الانجليز الجنس الممتاز .. لخاب أملى فيهم وفى حضارتهم . . »

لقد زرت اليابان وروسيا وإيران وغيرها من البلاد وشهدت الحضارة كما يجب أن تكون . . لقد تحررت إيران من سطوة الغرب ، وتخلصت من سلطان السياسة الأوربية .

« تحت سلطان الانجليز المميت عاشت الهند فى القاع السحيق ، كانت حضارتها قديمة كحضارة الصين التى أفسدها الانجليز ، ويالهم من قوم خبثاء. شوهوا جمال الأشياء ، ومسخوا الحقائق ، كنت أرى الانجليز فى الماضى الغابر قوما شجعان يهبون لنصرة الغريب ، أما اليوم فأراهم وقد حطت السنون من قدرهم ومزقهم طاعون الشر .

« إن عجلة الزمن سريعة الدوران ، ولابد لها أن تجبر الانجليز فى يوم قريب على أن يتركوا الهند لأهلها الشرعيين . ولكن أى هند هذه التى سوف يتركونها . مهلهلة . مجردة من الخيرات . . تئن من الفقر والجهل والمرض . وإذا ما نضب معينهم فى يوم من الأيام فانظروا ماذا سيتركون وراءهم . العار والدمار .

« كنت أظن أن ربيع الحياة هو فى قلب أوروبا » .

«أما اليوم وأنا على وشك الرحيل من هذا العالم فإن هذا الظن قد تبدد وتحطم على صخرة الحياة .

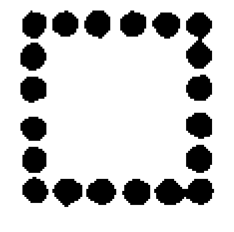
أن أملي اليوم أن يهب المريض من فراشه ومن الشرق تخرج رسالته إلى العالم كله لتملأ قلوب الرجال بالأمل والحياة . . فإذا نظرت ورائى فلا أرى غير الخراب والدمار أو مخلفات الحضارة الانجليزية .

ومع هذا فلن أفقد أملي فى الرجال .

قد يأتى الفجر من الأفق البعيد . . من الشرق حيث تشرق الشمس على الدوام .

وسيأتى اليوم عندما يسيطر فيه رجل الشرق على المكان والزمان ويجدد مجده وحضارته .

سيأتى اليوم الذى يحطم فيه الشرق قوى الغرب وينتصر إنتصاراً مبينا . . .



رحلات طاغور

كان طاغور كأبيه محباً للأسفار، والتجول فى البلاد . فقد زار معظم بلدان العالم ، وهدفه فى ذلك دراسة طبيعة هذه البلدان والتعرف على آدابها وآثارها والاغتراف من مناهل حضارتها وفلسفتها .

وفى عام ١٩١٦ زار اليابان وألقى فيها عــــدة محاضرات كان أهمها « روح اليابان » و « رسالة الهند إلى اليابان » أخذ فى هاتين المحاضرتين بالذات على اليابان وحذرها من الاستعماريين وما يجلبونه على البلاد الآمنة من شر مستطير . وإن الاستعمار ما هو إلا ما تمخضت عنه حضارة الغرب من وباء فاتك مريع . . ولم يلق طاغور أى ترحيب فى اليابان لصراحته النادرة . وحدث نفس الشيء عند زيارته لأمريكا ففى رحلته الاولى للولايات المتحدة الامريكية استقبل بترحيب بالغ كفيلسوف ومعلم عظيم ولكن فى زيارته الثانية عام ١٩١٧ لم يرحب به الأمريكيون عندما ألقى فيهم محاضراته المشهورة عن « تقديس القومية » حيث ثار فيها على الاستعمار وكشف نواياه .

وضجت الجرائد الامريكية وسخطت على طاغور وما ينفثه من « سموم » ضد الغرب المستعمر .

وحاول طاغور زيارة أمريكا لثالث مرة فأبرق المستر بوند رئيس

لجنة الادب الامريكي فرد عليه بوند معتذراً بالنسبة إلى ماتركته خطاباته ومحاضراته من أثر فى نفوس الامريكيين الذين كانوا يتعصبون للمستعمرين الانجليز وغيرهم من مستعمرى أوروبا . ولم يعر طاغور هذا الاعتذار التفاتا لانه كان أول من يعلم بأن الحقيقة دائماً تكون مرة المذاق .

واصر طاغور على السفر إلى أمريكا مرة ثالثة ليسمعهم رأيه مرة أخرى فى المستعمر وما يجره على البلاد الآمنة من خراب ودمار . . لكى يستمعوا إلى قضية الشرق علهم يفقهون .

وتحدث طاغور فى هذه المرة الثالثة فى نيويورك وكان موضوع الحديث « تقابل الشرق مع الغرب» وأوضح لالوف المستمعين بأن قوة الروح هى الشعاع الوحيد الذى ينير فى ظلمات الحياة وكل القوى الاخرى تتضاءل أمامها .

وزار طاغور الصين عام ١٩٢٤ وعقد فيها اجتماعين هامين كان الاول لليابانيين ونظم الثانى جماعة الانجليز والامريكيين وفى الاجتماع الاخير أوضح وجهة نظره ورأيه بصراحة فى الاستعمار ومبادئه ومدى تأثيره على اليابان نفسها . وفسر للحاضرين كيف أن تجميع الثروات مبدأ من مبادىء الاستعمار الغربى وكيف أن اليابان نفسها قد أصبحت عرضة له . وفى الاجتماع الثانى تكلم فى نفس الموضوع وكانت النتيجة أن ثارت هذه الجرائد الانجليزية والامريكية وحتى الصينية نفسها لان حضارة الغرب فى نظرها كانت المورد الوحيد لتحقيق أحلامها .

وفى عام ١٩٢٠ ، عندما زار طاغور لندن ليرد نياشينه إلى الانجليز قوبل بفتور ولكنه قوبل فى بلاد أخرى متعددة بترحيب حار يفوق ، الوصف والحق يقال أن شاعراً فى العصر القديم أو العصر الحديث لم يلق مالاقاه طاغور من مجد وتشريف سواء كان ذلك فى الشرق أو الغرب .

لم يكن طاغور ليهتم كثيرا بترحيب الناس أو عدم ترحيبهم له لانه كان دائما يحمل مشعل الحرية ويدافع عن الانسانية . . لم يحد طاغور عن طريق الحق والشرف طول حياته . .

شرفته الامم بتوجيه الدعوة لزيارتها فى عدة مناسبات هامة وتسابق أدباء العالم وشعراؤه وفلاسفته بالترحيب به فى كل دعوة وجهت اليه ففى باريس رحبت به الشاعرة الفرنسية المعروفة دى نواى
وفى إيطاليا عام ١٩٢٦ رحب به موسولينى ترحيباً حاراً قال فيه « هذه أعظم فرصة لأرى فيها بنفسى أعظم رجل فى العالم » . وفى لندن أعجب به جورج برنارد شو وغيره من كبار كتاب الانجليز. وفى النرويج قام الملك بنفسه لإستقباله وفى مصر عقد البرلمان تشريفاً وتكريماً لمقدمه .

ورفض طاغور زيارة كنداً لأن العمال الهنود كانوا يعاملون بها معاملة مجردة من كافة مبادىء الإنسانية .

وزار طاغور الاتحاد السوفيتى وأعجب إعجاباً كبيراً بالتقدم العظيم هناك . . وفى إحدى خطاباته فى موسكو قال « إن المفكر والثورى لهما

أثرهما الكبير فى الحياة . فمن المؤكد أن الطريق لكل منهما مختلف ولكن مثلهما العليا واحدة » .

وزار طاغور إيران عام ١٩٣٢ بدعوة خاصة من حكومتها واحتفل بها بعيد ميلاده الثانى والسبعين .

حقاً لقد عاش طاغور حياته يبشر الناس برسالة السلام والحرية ويترجم للغرب المعانى الدفينة فى أعماق الشرق ، والعنصر الوجدانى فى حضارته المتأصلة فى كيانه القديم .

عرض سريع لآثار طاغور

ترك طاغور آثاراً هامة بعد موته فمنذ حداثته وهو يقرض الشعر ويكتب أجود النثر ، ويقص على الناس أحسن القصص ، ويلقى على العالم أروع المحاضرات فى علم السياسة والأخلاق .. وكلها مراجع قيمة للأدباء والشعراء والفلاسفة والعلماء فى كل عصر وفى كل مكان .

كان طاغور أحد المؤلفين الكبار الذين أجادوا كتابة الادب بلغة أخرى غير لغة بلاده ..

وتتلخص أروع آثاره فى الشعر فى كتبه « قربان الاغانى » والبستانى والهلال . فالكتاب الاول يحتوى على مجموعة من الاشعار الروحانية مكتوبة باللغة البنغالية ألفها الشاعر فى عزلته ويقول فى ذلك « كتبت هذه الاشعار فى وحدتى وأيام حزنى .. » كتبتها لنفسى وعندما وجدت أنها سوف تفيد الناس وافقت على نشرها بالبنغالية وفى إحدى زياراتى لانجلترا ، وأنا فى دور نقاهتى بعض مرض خطير ، بدأت أترجمها باللغة الانجليزية » .

وكان كتابة هذا أول كتاب ينشر فى الغرب جلب لصاحبه شرفاً رفيعاً وحظاً عظيما .

أما الكتابان الثانى والثالث فقد طبعهما باللغة الانجليزية مباشرة بعد كتاب الاغانى وهما مجموعتان فى الشعر الروحانى وبراءة الاطفال .

وكتب طاغور أيضاً « هدية الحبيب » و « العبور » يتغنى فيهما بالربيع وخريف الحياة . . ثم « قطف الثمار » و « الهارب » يتحدث فيهما طاغور عن الماضى السحيق ..

ومن رواياته النادرة « شيترا ومكتب البريد وجورا . ورواية شيترا تصف امرأة مثالية ضحت فى سبيل حبيبها «.. أما مكتب البريد فهى قصة طفل مريض جالس إلى النافذة يحيى كل من يمر عليه وينتظر رسالة من الملك » .

أما جورا فقصة طويلة تبحث فى عقائد المجتمع الهندى فى العصر الحديث. كتب طاغور فى الدراما قصة « التضحية » وهى إحدى درره التى ترجمت إلى معظم لغات العالم . ثم «دورة الربيع » و « ملك الغرفة السوداء » وهما من قصصه المثيرة المعقدة وقد ترجمتا أيضاً إلى معظم اللغات الحية .

أما كتابه « البيت والعالم » فيعطينا فيه فكرة عن الهند الجديدة أثناء كفاحها وصراعها من أجل الحرية والاستقلال . وهذا الكتاب يقرأ حتى اليوم بنفس الحماسة التى كتب بها .

أما « الصخور الجائعة » فهى مجموعة من قصصه القصيرة وقد لاقت رواجا عظيما فى الهند وفى الخارج .

ومن كتبه النثرية « السدهانا » و « الذخائر » فيعرض فيها الشاعر الفلسفة القديمة والتعاليم الدينية فى الهند ..

وأهم ما كتبه طاغور ثلاثة كتب أخرى هى «الشخصية»و«الوحدة الخالقة»و«القومية»، لأنها تمس فلسفة الجنس البشرى «فالشخصية» مجموعة من مقالاته كتبت فى اليابان وأمريكا عام ١٩١٦، وتشمل آراءه الفلسفية للشخصية البشرية .. أما «الوحدة الخالقة»، فهى مجموعة محاضرات ألقاها الشاعر فى أوروبا وأمريكا عام ١٩٢٠، ١٩٢١ فى حين أن «القومية» تشمل مجموعة فذة من محاضراته التى ألقاها فى اليابان وأمريكا أيضاً كشف فيها النقاب عن فظائع الاستعمار الانجليزى فى الهند.

تعرض طاغور أيضاً للناحية العلمية فكتب كتابين فى علم الاحياء هما «جبانسمريتى»، «وشليبيلا»، مكتوبان باللغة البنغالية وترجم الآخير إلى الانجليزية على يد الشاعر نفسه وأطلق عليه «ذكريات»، أما الآخر فقد ترجمه مارجورى سايكس إلى اللغة الانجليزية تحت عنوان «أيام صباى».

موت الشاعر

هكذا وقفنا على قصة حياة هذا الشاعر العظيم ومدى تأثيره على الفكر الهندى خاصة ، والفكر العالمى عامة .. فلم يعرف أدبه البهرجة ولم يتصف شعره بالزيف، ولا كتاباته بالرياء ولا فلسفته بالكذب. بل كان كل ماكتبه طاغور فى كل ناحية من نواحى الحياة وبكل ما يتصل بالادب والشعر والرواية والفلسفة بالواقعية المطلقة . . وإذا كان طاغور قد هاجم الغرب وهاجم الاستعمار وكان سيفاً مسلطاً على المستعمرين الانجليز ، فذلك بوحى من وطنيته الصادقة إذ يقول : « كيف تجرد الهند من ثرواتها ويترك أهلها عرايا منبوذين ؟ »

كان يدين بدين الانسانية ، الإخاء والمحبة والتسامح وكان وطنه العالم كله .. كان حبه المعرفة مصدراً لسمو أفكاره ومنبعاً لغزارة آرائه فى الحياة . كان يطمع أن يرى العالم وقد تجرد من المادية وهيمنت عليه روح المحبة والسلام ، كما عمل على محاربة الرذيلة أينما وجدت . .

إن شخصية طاغور عالمية ممتازة لايستطيع الانسان أن يفيها حقها من التقدير والتمحيص .

ويقول كتاب الغرب فى عرضهم لشخصية طاغور « بالرغم من أننا عرفناه مدة نصف قرن من الزمان فإنه من العسير علينا أن نكشف النقاب عن شخصيته الفذة ونحللها تحليلا دقيقاً » .

وجاءت ساعة طاغور ، وانطفأت شعلة حياته فى اليوم الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٤١ بعد ثمانين عاما قضاها فى أرض الناس..

الحق يقال.. لم يمت طاغور لأن آثاره وأفكاره أكبر من أن تموت.. بل ستظل نوراً وناراً للعالمين.. نور يهدى ونار على الظلم والطغاة .. مثل طاغور مثل العباقرة الذين يمرون فى هذا العالم على فترات متقطعة من التاريخ .

كان طاغور معلما للبنغال والهند ، وأستاذاً لعلماء الغرب وفلاسفته وسيظل الشاعر ماثلا فى القلوب على مر القرون والأجيال ، وستظل أشعاره وأغانيه تتغنى بها قلوب البشرية مادام فى الدنيا عمران .

من روائع طاغور

- الجذور أغصان فى الأرض ، والأغصان جذور فى الهواء .
- أيتها الصخور .. أن لعنة النجوم تبعنك إلى الارض .
- ان الانسان أفتك من الحيوان اذا أنقلب حيوانا .
- يوزع القمر نوره على السماء ، أما نقطه السوداء فيحتفظ بها لنفسه .
- إن الكلمات النابية تؤذى صاحبها فطهر نفسك بالصمت .
- لا تلم طعامك ، لأن لاشهية لك .
- عندما تعبر الشمس المحيط الغربى ، تترك تحيتها الأخيرة إلى الشرق .
- يقول الشلال وجدت أغنيتى ، لانى وجدت حريتى .
- أيها القمر ماذا تنتظر ؟
- أنتظر الشمس لاحيها وأفسح لها الطريق .
- إن طيور الربيع تأتى إلى نافذتى وتصدح ، مرنمة أما أغصان الخريف الصفراء فتتساقط تحت نافذتى بالية مأوهة .

* * *

- يخلع العالم قناعه الفسيح المتسع ويعطيه لمحبيه، ولكنه يصبح صغيراً كأغنية واحدة ، كقبلة واحدة للخلود .

***

ـ إنها دموع الأرض التى تجعل الزهرة تبتسم عندما تتفتح .

* * *

إذا زرفت الدموع لأنك فقدت الشمس، فانك ستفقد النجوم أيضاً .

* * *

ـ حلمنا ذات مرة أننا غرباء وعندما استيقظنا وجدنا أنفسنا أعزاء لبعضنا البعض .

* * *

ـ أجلس إلى نافذتى فى الصباح حيث أرى العالم وهو يمر فاذا رآنى توقف لحظة وأومأ إلى برأسه ثم ذهب لحال سبيله .

* * *

ـ أنك لاترى مابداخل نفسك ، ولكنك ترى ظلالك فقط .

* * *

ـ لا يمكننى اختيار الأحسن ، ولكن الأحسن هو الذى يختارنى .

* * *

ـ أن الراحة لازمة للعمل كما أن الجفون لازمة للعيون .

* * *

ـ يولد الرجل طفلا وقوته هي قوة النمو .

* * *

ـ أن الزهور التي يرسلها الله ، ليست للشمس ولا للأرض ، بل هي لنا والله يتوقع منا رداً عليها .

* * *

ـ أن قلبي يضرب موجاته عند شاطيء العالم . ويوقع عليها بدموعه « إني أحبك » .

* * *

ـ إن الأشجار تصعد إلى نافذتي مثل الصوت الوليد للأرض الخرساء .

* * *

ـ تجد الحياة ثروتها من متاعب العالم ، كما تجد قيمتها من متاعب الحب . .

* * *

ـ يرغبها الطائر كما لو كانت سحابة ، وترغبها السحابة كما لو كانت طائراً .

* * *

ـ أيتها المرأة عندما تتحركين في منزلك ، دعي أطرافك تغني كعاصفة فوق تل وسط حصاه .

لقد ابتسمت وتكلمت الى عن لاشيء ، ولهذا شعرت أنى انتظرت طويلا . .

* * *

- يعزف العالم على أوتار القلب المتوانى بموسيقى حزينة هادئه .

* * *

- جعل الانسان من أسلحته آلهة له ، وعندما تنتصر هذه الأسلحة يكون قد هزم . .

* * *

- ان قدرة الخالق فى خلقه . .

* * *

- ان النجوم لاتخجل من أن تبدو كالحباحب «الذباب المنير» . .

* * *

- أحدك لأنى لست من عجلات القوة ، ولكننى واحد من المخلوقات الحية التى تدوسها هذه العجلات . .

* * *

- لقد منحنا الحياة . . اننا نكسبها باعطائنا اياها . .

* * *

ـ اننا نقترب من العظمة عندما نكون عظماء فى الوداعة . .

* * *

ـ لاتخش اللحظات القادمة . . هكذا تقول . . أغنية الخلود . .

* * *

ـ لتشرب نبيذى فى كأسى أيها الصديق . . . فانها تفقد رغوتها عندما تصب فى كؤوس الآخرين .

* * *

يقول الله للرجل « انى أساعدك لذلك أؤدبك ، انى أحبك لذلك أعاقبك . .

* * *

ـ أشكر الشعلة لوهجها ونورها، ولكن لاتنسى حامل المصباح الذى يقف فى الظلام فى صبر وأناة . .

* * *

ـ ان الزهرة الصغيرة تصيح عندما يتفتح برعمها قائلة . « أيها العالم العزيز . أرجو ألا تجعلنى أذبل . . »

* * *

ـ ان الخطأ لايتحمل الهزيمة ، ولكن الصواب يتحملها . .

- يغنى الشلال قائلا . . انى أعطى مياهى كلها فى فرح . رغم أن قليلا منها يكفى العطش . .

* * *

- فى وحدة قلبي أشعر يتنهد المساء الحزين وقد تمنطق بالمطر والضباب

* * *

- الضباب كالحب . . يلعب فوق قلوب التلال ويجلب لها روائع من الجمال . .

* * *

- اننا نقرأ الدنيا خطأ . . ونقول أنها تخدعنا . .

* * *

الأغانى لطاغور

عندما تأمرنى بالغناء
يزداد قلبي صلفاً وكبرياء
أنفرس فى وجهك فتنهمر الدموع من عينى .
كل هذه القسوة فى حياتى تنصهر فى نشوة
وينشر اعجابى جناحيه كطائر مشرع
فى طيرانه فوق المحيط . .
ان غنائى يشجيك . . وأنا أغنى .
يمس جناح غنائى طرف قدمك الذى لا أستطيع أن المسه .
سكرت بنشوة غنائى
ونسيت نفسى ودعوتك صديقى
يا من أنت سيدى والهى . .

* * *

لست أدرى كيف تغنى ياسيدى
لانى أنصت فى سكون وإعجاب
فنور موسيقاك يبهر العالم
ونفحة الحياة فى موسيقاك

تجرى من السماء إلى السماء
وبجرى موسيقاك المقدس
يحطم الحصى والرمال
ان قلبي يهفو أن يغنى معك
ولكن . . لا يصدر عنه صوت
آه . لقد سحقت قلبي فى شباك موسيقاك
اللانهائية ياسيدى

* * *

دعوتنى الى حفل الحياة
وباركت حياتى .
ورأت عيناى وسمعت أذناى.
وجاء دورى ولعبت على قيثارتى
والآن جاء الوقت لأسألك الرحيل
لأرى وجهك ذو الجلال
وأقدم سجودى فى صمت وجلال .

* * *

تتراكم السحب على بعضها فيكون ظلام
أيها الحب لماذا تتركنى هكذا على الباب
فى غمرة الحياة أتوه فى الزحام
ولكن فى هذا اليوم المظلم أقف وحيداً أترجاك

فاذا لم ترنى وجهك يارب
وإذا تركتنى واقفا وحيدا يارب
فلست أدرى كيف أمضى هذه الساعات تحت وابل من المطر المنهمر
سأظل واقفاً أرقب السماء
وينهلع قلبي من صوت الريح الصرصر العاتية

* * *

إذا لم تجبنى يارب
فسأغمر قلبي فى صمت مطلق
وسأظل واقفاً مثل الليل فى صبر عميق
وسينبلج الصبح . . وتتبدد الظلمات
وينهمر الصوت الذهبى من مجرى السماء
وتتسربل الكلمات بأجنحة الاغانى من كل طير فى السماء
وتتساقط أغانيك كالزهر والريحان فى غابتى الدكناء .

* * *

هأنذا واقف على الارض الفسيحة
وقد فقدت الخوف والرهبة
وعرفت أنه فى هذا العالم
لابد لى من رسالة أؤديها
والى أرض الوطن انحنيت

وقلت ويدى متشابكتان
اقبلى ياأمى هذه الحياة كلها
التى كرستها لك دون منازع

* * *

يا إلهى إذا أغلق باب قلبى
فحطم ذلك البـاب
ولا تتركنى
ياإلهى . إذا لم يترنم أحد باسمك
فى يوم من الأيام على أوتار القيثارة
فانتظرنى يارب ولا تتركنى
ياإلهى إذا لم أستيقظ على صوت ندائك
فأيقظنى يارب بشدة
ولا تتركنى . .

* * *

أفكار لطاغور

أمى . . .

.. رأيتنى فيما يرى النائم ، وقد ارتددت صبياً كما كنت يوم أن تركتنى أمى ، ميممة شطر عالم آخر أفضل وأعز .. وقد توسطت حجرة صغيرة من بستان تفوح أزاهيره فتعطر ضفاف نهر الجانجز فررت عليها غير مكترث بها . . ولكن شعوراً خفياً ألهب خاطرى لجأة كأنه وقع السياط ، فتقدمت نحوها فى رهبة ، وانحنيت فى خشوع حتى لامست رأسى قدمها . فأسرعت أمى وتناولت يدى ، ونظرت طويلاً فى وجهى، ثم تمتمت فى حنان ، أزكى من ثورة العاطفة . « ها أنت قد عدت . . . »

فما أشبه الليلة بالبارحة ، فنحن فى هذا العالم الطاغى الصاخب ، نمر مر الكرام على أمهاتنا وهن جلوس فى أماكنهن ، لا نطمع منهن فى شئ غير طعام يهيئنه لنا كلما خويت بطوننا ، وأسرة يمهدنها لنا كلما طغى علينا سلطان النوم ونحن أحوج ماتكون إلى لمساتهن الطاهرة وأصواتهن الملائكية المتدفقة حنانا ، وهى تنبعث خالصة من نفوسهن . .

إن تيار الزمن يسوقنا أمامه ، ولكننا لانقترب إلى نفوس أمهاتنا المقدسة مثل هذا الصوت الحنان واللحن الخالد وهو ينبعث من أعماق نفس أمى عندما حدقت فى . . ها أنت قد عدت . . .

هبة الله

إن أعظم فرصة فى الحياة هى أن تكون قادراً على أن تقدم قربانا للرب .. إننا نعيش فى عالم الله ولكننا ننساه .. ذلك أن الرضى الأعمى من جانب واحد لا يهدى الى الحقيقة . . إنها صحراء تتلقى الكثير من الأمطار ولكنها لا تعطى ثمرة واحدة مقابلها . . إن عالم الله قد أعطى لنا ، وعندما نقدم عالمنا لله ، فإن الهبة تكون قد تحققت .

* * *

الحرية

إن عزيمتنا تبلغ كمالها عندما نحب ، لأن الحب هو الحرية الحقيقية وليس معنى الحرية الابتعاد عن المقاومة . . إنها تقبل العبودية ، لأن العبودية ، لا ترتبط بها ، ولكنها تقيس حقيقتها فقط . . . إن عدم الاستعباد هو التوقف عن أداء الخدمة . . ولكن الحرية هى فى الخدمة نفسها . .

يقول شاعر فلاح من البنغال . أن نهاية الحب ليس الشقاء أو السعادة بل فى الحب نفسه لأنه يربط الجماعات بعضها ببعض .أن الحب يعطى الحرية

* * *

الله

الله فى عالمه وحبنا له ينام فى قلبنا فى سواره العميق.وأن هذا القلب ليصحو عندما يستيقظ حبنا ، وربما يبدو متناقضا أن نقول أننا لانشعر بحبنا ، ذلك أننا لانشعر بالحقيقة من أن الأرض تحملنا وتدور بنا حول الشمس . ولكن الحقيقة هى أن أجزاء طبيعتنا ليست كلها مضيئة وفى معظم الحالات فاننا نمتلك المعرفة السريعة عن أنفسنا فقط من الناحية السطحية حيث تشغل عقولنا حاجاتنا المؤقتة وما نحتاج إليه حياتنا .

الثروة

الثروة هى رمز القوة . . لذلك فان على الثروة أن تتحرك وتطفو كى تكون كاملة . . ذلك فان نشاط القوة هى الحركة نفسها ولكن الحركة المجردة هى السطحية لذلك يجب أن تكون الحركة نامية وكاسبة . . وهذا الكسب ليس فقط الشىء الذى يتحرك بل الذى يتبقى .

إن أعظم الفة للحركة والراحة هى فى الحياة الروحية ، التى يكون الحب عبيرها . ليس حب الله وحده ، الحب بكل معانيه هو أعظم ما يحققه الانسان . عندما تبلغ القوة نهايتها فإنها تقف لتنمى بعناية كنوزها . وعندما يصل الحب نهايته فإنه يصل لانها ثيته ولا يخاف أحداً . .

* * *

الغنى والفقير

الفرق بين رجل غنى ورجل فقير ، هو أن الاول يمكنه أن يملأ الامكنة الفسيحة فى منزله . قد يكون الأثاث الذى يزين به منزله له قيمته ولكن المكان الذى يجعل منه فناء لمنزله أو حديقة فسيحة الارجاء هو لاشك أثمن وأغلى قيمة . . متجر التاجر قد يكون عادة مزدحماً بالبضائع ، وهو فى منزله يسخر بعدم انتفاعه بطول وعرض وارتفاع حجرته . . وقد لا يذكر شيئاً عن اتساع حديقته . . ولكنه يهتم أولا بالشرف . وهذا هو ما يجعله غنياً . .

ليس فقط المكان الفسيح الشاغر له قيمة ، بل أن وقت الفراغ هو أكثر قيمة. أن الرجل الغنى يمكنه أن يشترى وقت الفراغ بماله . أنه فى الواقع أختبار لقوة شرائه، أختبار لقوته فى الابقاء على كافة وقت فراغه التى لا شك تريد أجباره على الانتفاع بها .

وهناك مكان آخر قد يكون أتساعه هو ثمن شيء فى العالم أنه العقل مصدر الفكر . أن أفكار الفقير والبائس تتعلق بعقولها كما تتعلق شجرة اللبلاب بالمعبد المحطم .

أن الالم يسد الطريق على تفتق الذهن وتفتحه كما أن الصحة يمكن

تعرضها بالحالة التى يرقد فيها الضمير الحى فى مكان فسيح فيشعر بصحة لانهاية لها .

وكما لا يمكن للشخص أن يعيش فى عظمة بدون فراغ فإن العقل كذلك لا يمكنه أن يفكر إلا فى وقت فراغه . . مثله مثل الضوء الباهت فإنه يحرف النظر ، ويشجع على الخوف ، ويحافظ على تباعد حقل المباشرة بين الإنسان وأخيه الإنسان . . .

كتب ثقافيه

صدر من هذه المجموعة

رقم الكتاب	اسم الكتاب
١	حكايات جحا
٢	أحاديث جدتى
٣	وشم الوردة
٤	كليلة ودمنة
٥	يحكى أن وقصص أخرى
٦	قصص من الشرق والغرب
٧	الفتوة
٨	فلاسفة وجوديون
٩	أبنائى جميعاً
١٠	المحاسن والاضداد ج ١
١١	المحاسن والاضداد ج ٢
	مذاهب النقد الأدبى

رقم الكتاب	اسم الكتاب
١٣	فى المقهى (قصص جزائرية)
١٤	سحابة صيف
١٥	طبيب البيت
١٦	شهر العسل المر ج ١
١٧	شهر العسل المر ج ٢
١٨	نزوات ماريان
١٩	نهج البلاغة ج ١
٢٠	نهج البلاغة ج ٢
٢١	نهج البلاغة ج ٣
٢٢	الصواريخ والأقمار وغزو الكون

رقم الكتاب	اسم الكتاب
٢٣	تليفزيون للجميع
٢٤	هنرى الرابع
٢٥	العالم المفقود
٢٦	رحلة إلى القمر
٢٧	طبائع الاستبداد
٢٨	هكذا عشنا
٢٩	عبقرية محمد ج ١
٣٠	عبقرية محمد ج ٢
٣١	من قصص شكسبير
٣٢	ابن بطوطة ج ١
٣٣	ابن بطوطة ج ٢
٣٤	عبقرية الصديق
٣٥	صور ضاحكة من نوادر البخلاء
٣٦	العلم والتوكل (صور من علوم أحياء الدين)

رقم الكتاب	اسم الكتاب
٣٧	دروس فى الحياة الزوجية
٣٨	الزهاوى شاعر الحرية
٣٩	محمد الرسول ج ١
٤٠	محمد الرسول ج ٢
٤١	أبو الشهداء «الحسين بن على»
٤٢	صور من الأدب الأسيوى
٤٣	محنة الفكر فى العراق
٤٤	أعلام المسرح الأوروبى
٤٥	فى ركب الكفاح
٤٦	حقائق أعجب من الخيال
٤٧	الحاج عباس وشركاه
٤٨	الإمامة والسياسة ج ١
٤٩	الإمامة والسياسة ج ٢
٥٠	الحركة الروائية فى أوروبا
٥١	روميو وجوليت
٥٢	اليونان أرض الفكر والتاريخ

رقم الكتاب	اسم الكتاب
٥٣	الشخصية العربية فى الأدب والتاريخ
٥٤	بيرانديللو
٥٥	الحياة فى عهد الفراعنة
٥٦	الحاجة إلى الموت
٥٧	أثر الترجمة فى حضارة العرب
٥٨	معارك عربية
٥٩	شعراء الحب
٦٠	الانسان العربى
٦١	جاء الخريف
٦٢	إبراهيم الكاتب
٦٣	علماؤنا العرب
٦٤	الشاعر أبو تمام
٦٥	صندوق الدنيا
٦٦	قواعد العقائد للغزالى
٦٧	سجين زندا
٦٨	المجتمع العربى فى العصور الوسطى
٦٩	الطوابع الثقافية الشرقية فى أفغانستان
٧٠	دومبي وولده
٧١	خيوط العنكبوت
٧٢	الروايات الواقعيـــة فى القرن ١٩
٧٣	نحن العرب
٧٤	١٠ مسرحيات عالمية
٧٥	قبض الريح
٧٦	وجهان للخطيئة
٧٧	قصص من اليابان
٧٨	عاصفة من أفريقيا
٧٩	كتابنا فى طفولتهم
٨٠	إبراهيم الثانى
٨١	رحلة إلى سيلان
٨٢	ربيب الحرية
٨٣	يوميات قيصر
٨٤	رواد النهضة العربية
٨٥	ع الماشى

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة

تعلن هيئة قناة السويس عن حاجتها لتوريد ٥٨٠٠ طن ستائر حديدية وملحقاتها حسب الشروط والمواصفات التى يمكن الحصول عليها من مقر الهيئة قسم التموين بالاسماعيلية نظير خمسة عشر جنيها مصريا لكل نسخه ، ويمكن ارسالها بالبريد مقابل مائتى مليم اضافية

تقدم طلبات شراء المناقصة على ورقة دمغة فئة خمسين مليما الى قسم التموين بالاسماعيلية .

تقدم العطاءات باسم السيد رئيس وعضو مجلس الادارة المنتدب بالاسماعيلية فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٩٦١/٦/٦ مصحوبة بتامين ٢ ٪ من قيمة العطاء

لن يلتفت الى العطاءات التي ترد بعد الموعد المحـــدد او بدون التامين او لغير العنوان الموضح اعلاه .

الدار القومية للطباعة والنشر

روايات عالمية

تقدم يوم السبت القادم
٢٠ مايو سنة ١٩٦١



قصة انسانية فذة رائعة الحوادث

للكاتب الفرنسى الكبير

جى دى كار

تعريب

الاستاذ محمود مسعود

لاول مرة باللغة العربية

الثمن ٣٠ مليما

العدد ١٠٠ الثمن ٥ قرش
صدر يوم الخميس ١٨ مايو « آيار سنة ١٩٦١ »
الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
٣٠ شارع منصور القاهرة